أنى نزل الناس فيها بين خطبة وكيف نزى عاش البرى بن الزنب
فما الفرد ما بين ذبحك بسملة وبين ذبيحك يا ذبيح
نسخة شائعة من إعداد سالم الدليمي
تعريب السيد احمد الصافي النجفي
ناكرده گناه در جهان كيست بگو وآن كس كه گنه نكرده چون ونست بگو
من ومعصيت هم نفسي بس فرياد بيان من وتوفيق تو
چيزي بنويسم

رباعيات

عمر الخيام

تعريب

السيد احمد الصافي النجفي

عضو النادي الادبي الفارسي في طهران وناقل
كتاب علم النفس عن العربية الى الفارسية لوزارة معارف ايران
وهذه الترجمة هي اقرب الترجمات الشعرية في جميع اللغات الى الأصل
الفارسي بشهادة العلامة (القزويني) عضو مؤتمر المستشرقين بكنهاكن

صدر الكتاب وهو يحمل النص الفارسي والترجمة الشعرية للرباعيات، ووَجدتُ أن القارئ العربي لا يحتاج النسخة الفارسية، (ولجهلي بمعرفتها ايضاً) فقد أخترتُ الترجمة الشعرية العربية فقط. وإجتهدتُ أن تكون نسخة مماثلة تماماً في الترقيم والترتيب وحركات الأحرف فجاءت مطابقة تماماً للأصل..

وبما أن الكتاب الأصل يخلو من أي تعريف بشاعرنا **الصافي النجفي**

ولكي تكون نسختي تلك أكثر شمولاً وفائدةً فقد جمعت معلومات إختصرتها كثيراً كي لا أُطيل على القارئ (الذي يمكنه تجاوزها أيضاً)

فكانت تلك النسخة التي بين أيديكُم.

عسى أن تنال جهودي بإعداد هذا الكتاب إستحسانكم.

سالم الدليمي

٢٠٢٠\٩\٧

الشاعر أحمد الصافي النجفي

يُعَرف الشاعر أحمد الصافي النجفي بسيرته الشعرية والنضالية كقيمة تراثية تستحق التأمّل والانبهار في كل حين، فقد وصفه -عباس محمود العقاد بقوله: "الصافي أكبر شعراء العربية"

أحمد الصافي النجفي (١٨٩٧ - ١٩٧٧).

وهو أحمد بن علي الصافي الحسيني العَلَويّ يعود نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم

ولد في مدينة النجف ١٨٩٧وتوفي في بغداد، وعاش في إيران وسوريا ولبنان وتنحدِر أصوله من أسرة علمية دينية يتَّصل نسبها بالإمام موسى الكاظم تُعرَف بآل السيد عبد العزيز، عندما بلغ عمره ١١عاما توفي والده بوباء الكوليرا، فكفَله أخوهُ الأكبر محمد رضا، ثم توفيَت والدته سنة ١٩١٢وتلقّى علومه الأدبية والدينية وبقية العلوم الطبيعية ومحاضرات عن الفلك والكواكب والطب الإسلامي، ثم دَرس قواعد اللغة والمنطق وعلم الكلام والمعاني والبيان والأصول وشيئاً من الفِقه على يد أساتذة المرموقين في النجف وبدأ يقول الشِّعر في سِن مُبكّرة، وعند بلوغه سِن العشرين إبّان الحرب العالمية الأولى انتقل من النجف إلى البصرة بحثاً عن العمل، ولكنه لم يحظَ بتلك الفرصة لضَعفْ بُنْيَتِهِ وإعتلال صحّته، فتركها إلى عَبادان بإيران ومنها إلى الكويت. ثم عاد للنجف بعد أشهر قليله خالي الوِفاض، وفي العام ١٩١٨شارك مع أخيه الأكبر في ثورة النجف ضد الاحتلال البريطاني، وفي عام١٩٢٠

أَسهمَ وأخيهِ كذلك إسهاماً فاعِلاً في ثورة العشرين، فحُكِم على أخيه بالإعدام الذي خُفِّفَ للسجن. أما في ثورة رشيد عالي الگيلاني عام ١٩٤١ فقد زَجَّ بهِ الإنگليز في السجن بعد فشل الثورة، يقول السيد فالح نصيف الحجيّة في كتاب شُعراء النهضة العربية ص ١٤٣ :"عاد أحمد الصافي النجفي خِلسةً إلى العراق، وراح ينظم الشعر الوطني - يهاجم فيه الاستعمار والمستعمرين- حتى ألْهَبَ الحَماس في قلوب العراقيين". :

لَئِن أُسْجَنْ فَما الأقفاصُ إلّا ** لِلَيْثِ الغَابِ أو للعَنْدَلِيبِ

أَلا يا بُلبُلاً سَجنوكَ ظُلْماً * فَنُحْتَ لفُرقةِ الغُصْنِ الرَّطِيبِ**

بعد ثورة العشرين كان الصافي من الأشخاص المطلوب اعتقالهم فقد صدرت بحقهم عقوبة الشنق غيابياً، فقال في ذلك:

ولَئِنْ أُشْنَقْ تكُنْ مَقْبَرتي ** منبراً يَعْلِنُ جُرَمَ الإنجليزِ

اعتقلته القوات البريطانية ذات مرة إثْرَ وشايةٍ مُلَفَّقة، وزجّته في السجن لمدة ٤٣ يوماً تفاقمَت إثرها حالته الصحية، وشارف على الخطر، لكن القائمين على السجن نقلوه تحت الحراسة إلى مستشفى سان جورج، ثم أعادوه إلى السجن حينما تماثل للشفاء فكتب في مدة سجنة تلك ديواناً كاملاً بإسم حصاد السجن ومن أبيات هذا الديوان

رَمونا كالبَضائعِ في سِجُونٍ ** وعافونا ولم يُبْدُوا إكْتِراثا

رَمونا في السِّجْنِ بلا أَثاثٍ ** فأصْبَحْنا لِسِجْنِهِمُ أَثاثا

واستطاع التخفّي والتنقّل من بلدةٍ لأُخرى فإنتهى بهِ الامرُ بالهرَب إلى إيران وعَكَف هُناك على دراسة اللغة الفارسية وعمل مدرساً للأدب العربي في المدارس الثانوية في طهران، وبعد عامين تركَ التدريس واشتغل بالترجمة والتحرير في الصحف الإيرانية.

عاد للعراق بعد ٨ سنوات قضاها في إيران، لكن صحته تدهورَت بشكلٍ سريع وتكالبَتْ عليهِ الامراض المُختَلِفة فنصحَهُ الأطبّاء بالسفرِ لسوريا أو لبُنان لإعتدال طَقسيهما مِمّا يُعيْنه على الراحة والاستشفاء.

وصلَ لسوريا في صيف١٩٣٠فطاب له المقام فيها لسنوات طويلة، فأمضى خلالها ٤٦ عاماً متنقلاً بين سوريا ولبنان.

لقد عاش شاعرنا سنيناً عجافاً، فكانت حياته ممزقة بين السقم واليتم والألم والحِرمان، فهو القائِل:

أسيرُ بِجسمٍ مُشْبِهٍ جِسْمَ مَيِّتٍ ** كأنّي إذا أمشي بهِ حامِلاً نَعْشِي

سُجِنَ الصافي خارج وطنه (في لبنان) فعاشَ مُعاناةً وصفها بغربةٍ داخل الغربة فأنشَدَ قائلاً:

أرى في غربةِ الإنسانِ سجناً ** فكيفَ بِسِجْنِ إنسانٍ غَريبِ!؟

ومِن أَعجَب العَجَبْ إنه لم يُقَم للصافي النجفي مهرجان تكريمي، أو حتى أمسية تكريمية في حياته، رغم كثرة المُعجَبين وعُظْم مراتبهم، وقد تَحايَل عليهِ الكثيرون لإجل ذلك لكن بِلا طائل، لأنه لم يألف المُجاملة. وحصل أن هَمَسَ بأذنه أحد المُعجَبين، من الذين لا يَعرفهم، قائلاً أنت «**الطائرُ المحكيُّ والآخرُ الصَدى**» فإعتبر هذا

هوَ مهرجانه معتبراً تلك الكلمات خالية من المجاملة والمُحاباة وما إليهما، وعندها قال:

جاء مَنْ لَم أعْرِفُهْ قالَ سلامُقُلْتُ مَنْ؟ قال مَنْ بشعرِك هامُوا**

إنْ كانَ ذاكَ السَلامُ لِي مَهرجاناً ** فمهرَجاني على الرصيفِ يُقامُ

وسُئِلَ ذاتَ مرةٍ في لبنان عن إمارة أحمد شوقي للشعراء فقال:

سألْتَني الشعراءُ أينَ أميرُهمْ ** فأجبتُ: إيليّا بقولٍ مُطلَقِ

قالوا: وأنت! فقلتُ: ذاك أميرُكمْ ** فأنا الأميرُ لأمةٍ لم تُخْلَقِ

وعندما إشتدّ عليه المرض في السجن وكان الإنجليز يُعلّلونه كل يوم بأنهم أبرَقوا إلى حكومة العراق يسألونها رأيها فيه، وقد مرّ عليه سبعة وعشرون يوماً وهو يَستغيث من الداء وهم لا يسمحون بنقله إلى المستشفى، ولمّا اشتدّت عليه وطأة الداء أنشأ قائلاً:

سُجِنتُ وقَد أصبَحِتْ سَلوَتي ** من السُّقْمِ، عَدّي لأضلُعي

أُعالجُ بالصَّبرِ بَرْحَ السّقامِ ** ولكنّ عِلاجيَ لم يَنْجَعِ

أَتاني الطَّبيبُ وولّى سُدىً ** وراحَ الشَفيعُ فلم يَشْفَعِ

وكَمْ قِيلَ مدِّدْ مَدى الإصْطِبارِ ** ومِهما عَراكَ فَلا تَجْزَعِ

وكَمْ ذَا أَمَدُّ مَدى الإصْطِبارِ ** فإنْ زِدْتُ في مَدِّهِ يُقطَعِ

ولكنَّهُمْ صادَفوا عُقْدَةً ** بأمْرِيَ تُعْيي حِجى الأَلْمَعي

حكومةُ لبنانَ قد رَاجَعَت ** فَرنسا لِفكّي فَلْم تَسْطِعِ

وراحَتْ فَرنسا إلى الإنكليزِ ** تُراجِعُهم جَلَّ مِن مَرجِعِ

وقَد رَاجعَ الإنكليزِ العِراقَ ** ولِلْيَومِ بالأَمرِ لَمْ يُصْدَعِ

:فقلتُ: إعْجبوا أيُّها السَّامِعُونَ ** ويَا أيُّها الخَلْقُ قُولوا مَعي

!أَمِن قُوَّتي صِرْتُ أَمْ مِن ضَعِفِهِم ** خَطيْراً عَلى دُوَلٍ أَرْبَعِ؟

رحل شاعرنا عن الحياة في السابع والعشرين من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٩٧٧ في وهج الحرب الاهلية اللبنانية برصاصة قنّاص في منتصف يناير ١٩٧٦وهو يبحث عن رغيف خبز يأكله بعد أن أمضى ثلاثة أيام لم يذق فيها الطعام، فحمله بعض المارّة إلى مستشفى المقاصد، ولهُ في أصابتِهِ قَوْلَهُ:

بَيْنَ الرصاصِ نَفَذْتُ ضِمْنَ مَعاركٍ ** فَبِرَغْمِ أَنْفِ المَوْتِ هَا أَنا سَالمُ

ولم يطل بها مكوثه بالمشفى لصعوبة الوضع القائم آنذاك، فنُقِلَ إلى بغداد وقد كَفَّ بَصَرهُ قبلَ عودتِهِ وأصبحَ مُقعَداً لا يستطيع الحِراك فأنشد قائلاً:

يا عَوْدَةً للدارِ ما أَقساها ** أَسْمَعْ بِبَغدادَ ولا أَراها

وببغدادَ أُجرِيَتْ لَهُ عمليةً جراحيّة ناجحة لإخراج الرصاصة من صَدرِه، فزادهُ ذلكَ نحولاً وضَعفاً فتوفّى بعد عدة أيّام وهو في الـ"٨٠"من عمره، بعد أن ترك تراثاً شعرياً خَصْباً، وترجمةً دقيقةً لرباعيات الخَيّام.

والرباعيّات نمط من الشعر شهير في الشعر الفارسي وقد عرف به عمر الخيّام، وهو غياث الدين أبو الفتوح عمر بن إبراهيم الخيام المعروف بعمر الخيام (١٠٤٨-١١٣١) وهو شاعر فارسي، وعالم في الفَلَك والرياضيات. ولعلها كُتِبَت في أوائل القرن الـ٢عشر

الميلادي/ ٨٦٥ هـ، ويجيء العنوان من صيغة الجَّمْع للكلمة العربية رباعية، والتي تُشير إلى قالب من قوالب الشعر الفارسي. والرباعية مقطوعة شعرية من أربعة أبيات تدور بخصوص موضوع مُحدَّد، لتَعطي وجهة نَظَر تامة الوضوح. وقَد تَتَّفِق قافية الشَّطرين الأولى فقط، أو تَتَّفِق جَميع الشطور الأربعة في قافية واحدة.

كلمة المُعرِّب

أول ما قرأت من رباعيات الخَيّام هو تعريب الاديب السيد وديع البستاني، وقد أثَّرت في نفسي قراءتها حينذاك بحيث نقلتني من عالمي المحسوس إلى عالم خيالي وديع ملؤه اللذة والهناء، فوددت لو بقيت فيه ولا أنتقل إلى هذا العالم المادي المفعم بالآلام والاتعاب.

وقلت لنفسي إن كان هذا أثر التعريب فما هو أثر الاصل يا ترى؟ من ذلك الحين أخذتُ اسعى للوصول إلى ينبوع الرباعيات الأصلي. لان السواقي والانهار مهما نَقِيَتْ لابد وأن تحمل مع النمير العذب فضلات وزوائد تعكّر لونه وتُفسِد طعمه فشعرت بالحاجة إلى تعلم الفارسية وآدابها ولكني كنت في بيئة عربية والأسباب لم تكن متوفرة لديَّ لبلوغ تلك الامنية فحدث بعد حينأن ثار العراق ثورته الكبرى، ثم انتهت الثورة بانكسار الجيش الوطني، فاضطرتني الظروف إلى مغادرة بلادي واتخاذ طهران عاصمة الفرس داراً لهجرتي.

أقمتُ في طهران ثماني سنين كان همّي الوحيد فيها درس الادب الفارسي والنفوذ إلى معانيه الدقيقة ومراميه السامية لأصل منها إلى الينبوع الصافي الذي سالت منه خيالات عمر الخيّام الشاعر الذي شُغِفتُ به من دون باقي شعراء الفُرسْ.

ثم بلغتُ من درس الادب الفارسي المنزلة التي كانت تتوق اليها نفسي وأخذتُ أكتب واترجم وأنشر بأسم (سيد أحمد نجفي) في أمهات الصحف الفارسية. كصحيفة (شفقق سرخ) و (كوشش) و (اقدام) ومجلة (أرمغان) لسان حال النادي الادبي بطهران ومجلّة (تعليم

وتربيت) ثم كلّفتني وزارة معارف إيران ان اترجم لها كتاب علم النفس الذي اشترك بتأليفه الفاضلان المصريان السيدان

(علي الجارم ومصطفى أمين) ليُدرَّس في دار المعلمين هناك فترجمته لها. وبعدئذٍ انتُخِبتُ عضواً في النادي الادبي الفارسي بطهران. وحينذاك اخذتُ اطالع الرباعيات بالفارسية فوجدتُ تعريب الاستاذ البستاني رغم ما اشتمل عليه من سمو وابداع لم يكن يمثل مع الاسف من الرباعيات إلّا قشورها البرّاقة واصدافها اللامعة وكان له العذر في ذلك اذ لم يكن عارفاً بالفارسية فترجم سباعياته عن الإنكليزية ومن أجل ذلك بقي الدر واللباب في كنز مرصود لم تستطع ان تفك طلاسمه قرائح المترجمين. كل ذلك حرّك رغبتي إلى محاولة فك تلك الطلاسم واكتشاف ما اختبأ في ذلك الكنز لعلّي أستطيع أن اتحف قرّاء العربية لغتي المحبوبة لا بتلك الخيالات الشعرية المعروفة التي تدفع إلى التشائم وتدعو إلى اللذات فحسب، بل بتلك اللئالئ المكنونة التي تمثّل آراء الخَيّام الفلسفية ونكاته الادبية البديعة.

وقد أدركت حينئذ خطورة موقفي وما يعترضني فيه من العقبات مما يدركه كل من عانى ترجمة الشعر بشعر مثله، ولا غروَ فإن نقل المعنى شعراً من لغة إلى أخرى مع الاحتفاظ بالمعنى الأصلي بحيث لا يبدو عليه أثر التكلّف في الترجمة أمر شاق تُهَيأ دونه العزائم وتقف الهمم حائرة أمامه ولكن الرغبة سر النجاح والعشق يجتاح العراقيل ويذلل الصعوبات فانصرفتُ وكلّي رغبة نحو التعريب وأخذتُ أُجرِّب قريحتي في ترجمة بعض رباعيات عرضتها عند ترجمتها على أدباء الفرس العارفين بالعربية وآدابها فقابلوها بالأصل وأبدوا اعجابهم فيها وشجّعوني على اكمال العمل فأخذت أوالي السعي وافرغ الجهد ثلاث سنوات كاملات لم يكن لي فيها شغل سوى اتمام هذا العمل حتى أكملتها ثلاثمائة وإحدى وخمسين رباعية. وكان همي الوحيد أثناء

التعريب متجهاً لأمرين: الأول الأمانة في النقل والاحتفاظ بالمعنى الاصلي حتى ظهر أكثر الرباعيات كأنه قد تُرجِمَ كلمة بكلمه.

الثاني: تقريب التعريب بقدر الطاقة من الذوق العربي وكان ذلك يلجئني أحإناً إلى أن أفرغ الرباعية الواحدة في أكثر من عشرين سَبكاً حتى أختار من بينها السبك الوافي بأداء المعنى والمطابق للذوق العربي، وكثيراً ما كنت أضحّي بخيالي الشعري في سبيل تحقيق هذه المهمة. وربما يرى القارئ الاديب كلمات في الترجمة يمكن ابدالها بأحسن منها ولكن ليثق من أني قد آثرت هذه الكمات على غيرها (مما هو أنسب منها للذوق) لئلا يؤدي تبديلها إلى خلل في المعنى الأصلي.

وما كنتُ أحيد عن هذا الغرض وآتي بشيء من التصرّف إلّا عندما أعجز عن كل الوسائل للاحتفاظ بالمعنى الأصلي. وهناك رباعيات جميلة لم أستطع مع افراغ الجهد أن أبرز معانيها المهمة كاملة في الترجمة مع الموافقة للذوق العربي فنكبت عن ترجمتها معترفاً بعجزي وقصوري.

ولما أن أكملت التعريب عرضته على أدباء الفرس فقابلوه بالأصل وأكبروه غاية الأكبار وإليكَ ما فاه به أكبر شعراء الفرس المعاصرين وهو **محمد حسين بهار** الملقب (بملك الشعراء) قال إن هذا التعريب مع كونه مطابق للأصل جداً فهو يفوقه من حيث البلاغة والأسلوب كهذه الرباعية:

لم يحضَ في ورد الخدودِ فتىً ** إلّا وكابدَ من أشواكهِ العَطَبا

أنظر إلى المِشْط لَم تَبلغ أناملُهُ ** أصداغَ أغيدُ ما يَنشَعِب شعبا

والرباعية الآتية:

أيا فلكاً يربى كلّ نَذلٍ ** وليسَ يدورُ حَسْبَ رِضا الكَريمِ

كَفى بِكَ شِيمةً أن رحْتَ تهوي ** بذي شَرَفٍ وتسمو باللئيمِ

ولا أنسى ما قاله لي أحد كبار العلماء والأدباء هناك وأعني به العلّامة الملقَّب بصدر الأفاضل الذي كان يُدرِّس الأدب العربي للشاه المخلوع، قال بعد إن اطَّلع على الرباعيات بتمامها: (أكاد أعتقد أن الخيّام نظم رباعياته بالعربية والفارسية معاً وقد فُقِدَ العربي منها فعثرتَ عليه وإنتحلتَهُ لنفسِكَ). لم يكن غرضي من اثبات هذه الشواهد هو الفخر والتبجّح بل كل غرضي يشهد الله أن أجعل القارئ العربي واثقاً من انه إذا قرأ التعريب فكأنَّهُ قرأ الأصل بلا أدنى فرق.

وقد نشرت مجلّة (أرمغان) لسان حال النادي الادبي في طهران قطعاً من التعريب مقرونة بالأصل مع مقدمة ضاهية نوَّهَت فيها بمكانة هذا التعريب. ثم إني أرسلتُ نماذج من الرباعيات مصحوبة بأصلها الفارسي من حرف الألف إلى حرف الدال للعلامة المتبحّر **الميرزا محمد خان القزويني** (القيم في باريس منذ عشرات السنين والعارف بمعظم اللغات الاوربية والعضو في مؤتمر المستشرقين بأكسفورد والذي كان العضد الايمن للمستشرق الإنكليزي المرحوم الأستاذ "**برون**" في نشر الكتب الفارسية والتعليق عليها) وطلبت منه ان يقايس تعريبي هذا بما تُرجِم من الرباعيات إلى سائر اللغات. فأجابني بكتاب يجمع بين تقريظ وانتقاد يراهما القارئ؛ ضمن كتابه الذي أُثبّت أصله وتعريبه في صدر الرباعيات ...

أما انتقاد الاستاذ العلّامة فينحصر بالوزن فحسب ذلك لأني لم أحتفظ بالوزن الاصلي [أعني بحر الدوبيت] ولم اقيّد نفسي بوزن خاص يطرد في جميع الرباعيات وشفيعي في ذلك أمران:

أحدهما الاهتمام بأداء المعنى الاصلي في أي وزن أمكن إذ أن ذلك هو غرضي الوحيد من الترجمة، وكنت لذلك أضطر أحياناً أن أجيل الترجمة في بضعة أوزان حتى أعثر من بينها على الوزن الوافي بأداء المعنى.

والثاني: أن الأذن تمل من إستماع نغمة واحدة، وتميل إلى التنوّع، فما الوزن إلّا نوع من الموسيقى، وكلٌّ يعرف كيف يعتري السمع الملل

عند استماع القطعة الموسيقية ذات اللحن الواحد المتكرر المُعبَّر عنه اليوم بموسيقى الهمج. وكيف يرتاح السمع عند استماع القطعة الموسيقية ذات الالحان المتنوعة ومثل ذلك يُعرَض للعين أيضاً عند مشاهدة الروضة ذات الزهر الواحد أو الروضة ذات الزهور المختلفة.

هذا وقد طبعت الرباعيات مع أصلها الفارسي ليسهل على العارفين باللغتين المقايسة بين الاصل والتعريب.

وقد إعتمدتُ في الأصل الفارسي على نسختين أحداهما النسخة التي جمعها الكاتب البَحّاثة الأديب (**السيد رشيد الياسمي**) المطبوعة في طهران والثانية؛ النسخة التي طبعها عن نسخة قديمة وقابلها على نسخ كثيرة المستشرق الالماني الدكتور(**فريد ريخ روزن**)..

ونظراً إلى الدقة التي توخيتها في التعريب فقد فتحت المجال الآن لكُتّاب العربية وأدباءها ليدققوا النظر في فلسفة الخَيّام ويقابلوا بينها وبين فلسفة (المعري) فإنّي رأيتُ كثيراً من معاني الخيّام مأخوذة عن المعرّي في(لزومياته) أو في (سقط الزند) وبعضها مأخوذة عن شعراه آخرين وعلى سبيل المثال نذكر ما يلي:

قال المعرّي:

تمنَّيتُ أنَّ الخمر حَلَّت لنشوةٍ ** تُجهّلني كيف استقرَّت بي الحالُ

وقال أيضاً:

أيأتي نبيٌ يجعل الخمر حلّةً ** فتحملُ شيئاً من همومي وأحزاني

وأخذ الخيّام هذا المعنى فقال ما تعريبه:

ربّي إفتح لي بابَ رزقٍ وأرسِل ** ليَ قوتِيَ مِن دونِ كُلِّ الأنامِ

وأدِم نَشوة الطَلا ليَ حتّى ** تُذهلُني ما عشتُ من آلامي

وقال المعرّي

أرواحنا معاً وليسَ لنا بها ** عِلمٌ فكيف إذا حوَتها الأقبرُ

أخذَهُ الخَيّام فقال:

سِر الحياة لو أنَّهُ يَبدو لَنا ** لَبَدا لَنا سِرُّ المَماتِ المُبهَم

لَم تعلمّنَّ وأنتَ حيّ سِرَّها ** فغداً إذا ما متَّ ماذا تعلمُ

وقال أبو الحسن الباخرزي: المترجم في وفيّات الاعيان

يا صاحب العودين لا تهملهما ** حرِّك لناعوداً وأَحرِق عودا

أخذه الخيّام فقال ما تعريبه:

وهلمَّ بالعودين واكتمل الهَنا **وَقّع على عودٍ وأحرِق عودا

ومن غريب ما رأيتُ من تصرّف المعرّبين هو نظم الرباعيات وتقسيمها إلى أناشيد حيث جعلوا كل رباعية مرتبطة بالأخرى مع ان كل رباعيه في الاصل مستقلّة بمعناها لا علاقة لها بالأخرى أصلا، وقد جُمِعَت في الفارسية غالباً مرتبة على حروف الهجاء ولا شك أنَّهُ ما استطاع المترجمون أن يجعلوها سلسلة متصلة الحلقات إلّا بعد أن تصرفوا

بمعناها فأتوا بالشعر القديم الشرقي على نمط الشعر العصري الغربي.
ومما يجدر التنويه عليه ان اسم الرباعية كان يُطلَق قديماً على الاربعة أشطر كما في رباعيات الخيّام التي يتألّف كلٌ منها من بيتين كما انها وردت في بحر فارسي دخيل في العربية، يُسمى (بحر الدوبيت) أي بحر البيتين ولكن بعض المتأخرين من أدباء العرب كإلياس فرحات والشيخ علي الشرقي قد أطلقوا اسم الرباعية على أربعة ابيات تشبيهاً لها برباعيات الخيّام في حين ان رباعيات الخيّام تتألّف من بيتين فحسب.

أحمد الصافي

45, Avenue Reille, 45 Paris 14e

۱۵ محرم ۱۳۴۵
۲۶ ژانویه ۱۹۲۶

آقای معظم فاضل علامه

در خصوص ترجمهٔ رباعیات خیام که مرقوم فرموده بودید
برای من دشوار بوده و لطفاً رأی مرا در آن خصوص خواسته بودید
در جواب عرض میکنم که اما از جهت لفظی یعنی از لحاظ فصاحت و بلاغت
ترجمهٔ من هرگز صلاحیت آنرا ندارد و خود هم می‌دانم که ابداء رأیی و حکمی
در این خصوص نمی‌نمایم زیرا که هرچند من بواسطهٔ اینکه ایرانی هستم
و فارسی زبان مادری من است تا اندازه‌ای میتوانم لطف کلام مترجم شده
یعنی اصل رباعیات خیام را درک کنم ولی در مورد ترجمهٔ عربی آن چون عربی
زبان ثانوی اصلی من نیست و من در آن اجنبی هستم چگونه میتوانم در آن موضوع
قضاوتی بنمایم آنهم در محضر فاضل فعلی مثل سرکار عالی، و هرگونه حکمی از
من در این خصوص بلاتردید از قبیل رجم بالغیب و اتیان ظن و اوهام
و تقوّل و تکلف خواهد بود فرحم الله امرأ عرف قدره و لم یتعدّ طوره، این مراتب
همان نکته‌ای از فصل مقدّمهٔ خود را که ای تراز داده است که " فضل
فی تفسیر الذوق فی مصطلح اهل البیان و بیان انه لا یحصل غالبا للمعجم
من العجم ، و متی که در خصوص مستعرب چه رسد بحصول این ذوق غیر ممکن باشد

پس در مورد مثل سوره کسی که از زبان عربی جز اصلاح بسیار سطحی محدود،
معلوم است حال دیگران چه خواهد بود، حکم این قسمت را بدون اضافه
خود و خدا تعالی و سایر ادبای معاصر عرب واگذارم، ولی چیزی که
میتوانم بدون تردد بر آن بیفزایم خود عرض کنم اینست که از حیث جمله به
یعنی از لحاظ مقابله ترجمه با اصل و تأدیه غرض اصلی شاعر دقیقاً
اشهد الله که مابین تراجم کثیره لایعدّ و لایحصی رباعیات خیام بالسنه مختلفه که
ترجمه انگلیس ترجمه سرکار عالی و تطابق آن با اصل دیدم، بهترین
تراجم خیامیه بالسنه خارجه ترجمه شاعر انگلیسی معروف فیتز جرالد است،
و ترجمه او در عین آنکه از لحاظ شعریت و فصاحت و بلاغت لفظ و معنی
در نهایت درجه خوبی است مع ذلک از لحاظ تطابق ترجمه با اصل و تأدیه
غرض شاعر اصلی بسیار جای خالی دارد یعنی بسیار ترجمه آزاد و به عبارت
و مقیّد متابعت خیام و حتی اغراض او و ادای معانی او در ترجمه
نشده است، بطوریکه در خیالات رباعیات خیام که از ترجمه آزاد است مانند
زوال اصل رباعی خیام مشکل است و یا اوقات باندازه بعید است که عادتاً
محال است، و سایر تراجم خیام بشعر (غیر آنهائی که بهتر ترجمه شده است) عاماً
از روی ترجمه فیتز جرالد ترجمه شده نه از روی اصل فارسی خیام، و لهذا
آنها هم مثل فیتز جرالد بلکه بعضی بمراتب دورتر از ترجمه (آزاد) ترجمه با

بابش تطابق ندارد و بسیار آزادانه است ، و برای اواخر رباعیات خیام
بهتر است مستقیماً از متن فارسی ترجمه کنید و از مصراع پارسی است ولی این
تا کنون آنرا ندیده ام تا تکلیف آن خصوص بعهده ما باشد ، ترجمه سرکار یعنی
این ۸۶ رباعی که برای من فرستاده اید اگرچه از طراز تازه ایست و
از یک حیث از اصل دور افتاده است یعنی از حیث وزن که نه وزن
رباعی اصلی را (دوبیتی یا مفاعیلن مفاعیلن از بحر هزج) در ترجمه
ابقا نموده اید و نه خود را مقید بمراعات وزن واحد در جمیع
تراجم رباعیات فرموده اید ، ولی از حیث تطابق معنی ترجمه با اصل
(تا آنجا که تقید بوزن و قافیه در ترجمه اجازه میدهد) الحق والانصاف
چنانکه عرض کردم بسیار بسیار خوب از عهده برآمده اید و شاید بتوان گفت این
ترجمه از یکایک جمیع تراجم بقدری خیام است بلا استثنا باصل فارسی آن ،
فشکر الله مساعیک الجمیلة وجزاک الله عن العلم والادب احسن الجزاء
که یک شاعر بسیار بزرگ مارا که از جمیع افکار اروپا و امریکا بیگانه است در نهایت
شهرت دارد و لفظاً برادران عزیز زبان ما او را هم شناخته اند با دنیای
غرب شناسانیده اید و این فضیلت شایان را هم با دنیای فارسی داده اید
با دنیای غرب انجام داده اید . مخلص حقیقی
محمد قزوینی

(تعريب كتاب العلّامة المتبحّر **الميرزا محمد خان القزويني**)

45 AVENUE REILLE, 45 PARIS 14

١٥ محرّم سنة ١٣٤٥

٢٦ يوليو ١٩٢٦

سيدي العلّامة الفاضل المُعظَّم:

أمّا من خصوص ترجمة رباعيات الخيّام التي تفضلت وأرسلت لي نموذجاً منها وطلبت رأيي فيها تلطفاً منك فأقول في الجواب: أمّا من حيث اللفظ أي من حيث فصاحة الترجمة وبلاغتها فلا أرى لي صلاحية إبداء الرأي وإعطاء الحكم في ذلك فأنّي نظراً إلى كوني إيراني الجنس. واللغة الفارسي لساني الذي وُلِدتُ عليه ربما أستطيع أن أدرك حُسْن المُتَرجَم عنه "أي الرباعيات الاصلية" أما الترجمة العربية فبما أن اللغة العربية ليست بلُغتي الاصلية. وأنا أجنبي عنها فكيف أستطيع أن أقضي وأحكم في هذا الموضوع خصوصاُ أزاء فاضل فحل مثل سيادتك، وكل حكم يصدر مني في هذا الشأن لا شك أنه سيكون من قبيل الرجم بالغيب واتباع الظنون والأوهام ونوعاً من التصنّع والتكلّف فرحم الله أمرئً عَرفَ نفسه ولم يتعدَّ طوره. لقد جعل ابن خلدون عنوان أحد فصول مقدمته ما يلي:

(فصل في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان وبيان أنه لا يحصل غالباً للمستعربين من العجم)

فاذا كان حصول هذا الذوق غير ممكن للمستعربين فمعلوم ماذا يكون الحال في شخص مثلي ليس لديه من العربية إلّا إطّلاع سطحي محدود وإنّي لأُوكِل الحكم في ذلك إلى ذوقك اللطيف وذوق سائر أدباء

العرب المعاصرين.

غاية ما يمكن أن أبدي رأيي به بدون أن أ خرج عن حدودي هو من حيث المعنى أي من حيث مطابقة الترجمة للأصل وتأدية الغرض الأصلي للشاعر في الترجمة.

أشهد الله أني قلّما رأيت بين التراجم التي لا تُعَد ولا تُحصى للخيّام في اللغات المختلفة ترجمة صحيحة ومطابقة للأصل كترجمة سيادتك. أحسن الترجمات لرباعيات الخيّام في اللغات المختلفة هي ترجمة الشاعر الانجليزي (**فيتز جرالد**) وترجمته مع انها من حيث الشاعرية والفصاحة والبلاغة لفظاً ومعنىً في غاية الجودة فمن حيث المطابقة للأصل وبيان الغرض الأصلي للشاعر فيها فراغ كثير يعني أن المُشار إليه ترجمها ترجمة حرة للغاية ولم يتقيّد بإتّباع الخيّام وحفظ أغراضه واداء معانيه في الترجمة بحيث أصبحت معرفة المعنى الاصلي ولو على سبيل الحَدَس في أغلب رباعيات "**فيتز جرالد**" متعسّرة وكثيراً ما بَعُدَ عن الأصل بدرجة أصبح حدس الأصل معها محالاً. أمّا باقي تراجم الخيّام الشعرية فقد أُخِذَت في الأغلب عن ترجمة فيتز جرالد الانجليزي لا عن الأصل الفارسي، لذلك أصبحت تلك التراجم كترجة فيتز جرالد بل أشد منها (لأنها ترجمة عن ترجمة) في أنها غير مطابقة للأصل وحرة للغاية. وفي هذه الأواخر تُرجِمَت رباعيات الخيّام بواطة السباعي إلى العربية وطُبِعَت في مصر لكني إلى الآن لم أرَها حتّى أُبدي رأيي فيها. أما ترجمة سيادتك أعني ٨٦ رباعية التي أرسلتها لي فهي وإن كانت من طراز جديد ومن جهة واحدة (أعني جهة الوزن) بَعُدْتَ عن

الأصل لأنك لم تَبقَ على وزن الرباعيات الأصلي (بحر الدوبيت في إصطلاح المتأخرين من شعراء العرب) ولم تُقيّد نفسكَ في جميع الرباعيات بوزن وبحر واحد ولكن من حيث مطابقة الترجمة للأصل (في الحدود التي يسيغها لك التقّيد بالوزن والقافية في الترجمة الشعرية فالحق والانصاف كما عرضت لك أجدتَ كثيراً كثيراً في الخروج من عهدتها ولعله يمكن أن يُقال إن هذه الترجمة أقرب جميع الترجمات الشعرية للخيّام بلا إستثناء. فشكر الله مساعيك الجميلة وجزاك الله عن الشعر والادب أحسن الجزاء حيث عرّفت إلى ادباء العرب شاعراً من أكبر شعرائنا له في جميع اقطار أوروبا وأميركا شهرة واسعة ولم يكن يجهله إلّا اخواننا العرب وها أنت قد أدَّيتَ هذه الخدمة اللائقة للآداب الفارسية والعربية معاً.

المخلص الحقيقي

محمد القزويني

شعر الخيّام وفلسفته

كلَّفنا حضرة الاستاذ الاديب المحامي السيد أديب التقي (مدرّس التاريخ والجغرافيا في مدرستيّْ التجهيز والمعلمين قبلاً ومدرّس اللغة العربية، وآدابها في مدرستي التجهيز والمعلمات بدمشق) أن يتحفنا بموجز عن شعر الخيّام وفلسفته لاشتغاله بهذا الموضوع ووضعه فيه كتاباً خاصاً، كيما نُصدّر به هذه الرباعيات، فتفضل حفظه الله بكلمة مستعجلة اشتملت على ما يروي الغلّة. في الموضوع المشار إليه وهذه هي؛

(نظرة مستعجلة)

في شعر الخيّام وفلسفته

لم يكن الخيّام نفسه عندما نظم رباعياته وجمعها يحلم بما سيكون لها من الشأن بعده، وخصوصاً عند أمم غريبة عنه وطناً وجنساً ولغةً وديناً! لقد لقيت هذه الرباعيات ما لم يكن بحسبان الخيّام ولا غيره من التهافت والاقبال على دراستها ونقلها إلى لغات العالم المتمدن في أوربا وأمريكا.

وقد يستغرب الانسان ما لقيته هذه الرباعيات من العناية مع أنها ليست خيرة الخيرة مما أنتجته قرائح أبناء فارس من الوجهة الأدبية، وليس مقام الخيّام الأدبي في ذروة الذروة التي لم يستطع التحليق فيها إليها أدباء الفرس، فما هو الباعث يا تُرى لهذا التفوّق والرجحان الأدبي؟ لقد أجاب عن هذا الاستاذ العلّامة الفيلسوف التركي رضا توفق بك في كتابه (رباعيات الخيّام) فقال ان هذا الفوز الذي كُتِب لرباعيات الخَيّام مُنبعِث عن فهم الخيّام لمعنى الحياة وفق عقيدة المدنية الحاضرة وذوقها. وأفادته بدساتير هذه العقيدة الاساسية في رباعياته

بأسلوب شعري بديع ولم تلتفت أمم الغرب إلى الخيّام هذا الالتفات إلّا لأنها نظرت إليه نظرها إلى أوروبي معاصر حكيم وعملت بما في تعاليه من حكمة ومضت على طريقته. ولم يُعرَف الخيّام في الغرب ويذيع صيته إلّا بواسطة الشاعر الإنكليزي الاديب

(**فيتز جرالد** - Fitz gerald) - مترجم رباعياته - وأمّا في الشرق فإنَّهُ

حُشِرَ في زمرة الرياضيين والمنجين ولم يُعَد في عداد الشعراء. وقد ثبت بالوثائق التي عُثِر عليها أن الخيّام كان حياً في سنتَيْ (٥٠٦) و(٥٠٨) للهجرة وأنه دُفِنِ في (نيسابور) من إيران.

شاعرية الخيّام

ان أكثر الكمات المترددة على السمع عند تلاوة شعر الخيّام هي: الخمرة والحانة والساقي والكوز والعود والناي والمغنّي وأمثال ذلك - وجل المعاني التي ينطوي عليها: العمر سريع الزوال فيجب أن ننتهز الفرص قبل فواتها - نحن لا ندري من أين أتينا ولا ندري إلى أين نذهب فلنحسن الاستمتاع بهذه الأيام القليلة التي نعيشها. ليس في طوق البشر الوصول إلى المعرفة فينبغي أن نقبل كل شيء كما وجدناه ولا نُفسِد على أنفسنا ملذاتها. وغير ذلك. وبعبارة مختصَرة يمكن أن يُقال إنَّ جميع ما تحوم حوله معاني الخَيّام في شعرِهِ تنحصر في هذا المصراع العربي: (اغنموا الفرصة بين العدمين!) والحق أن الخَيّام كسا برباعياته الأدب الفارسي بمطارِف لا تبلى على الأيام وحباه أحسن ما يحبو شاعر لغة من عبقرية ونبوغ، وكان موفقاً في إنتقاء ألفاظه فالانسجام والسلاسة والتشبيهات والاستعارات اللطيفة غير النكِدة والسهولة وعدم ا لتكلّف، كل ذلك من الصفات البارزة في شعره. وعباراته وإفاداته تقوم حق القيام بإداء ما يُحمِّلها إيّاه من المعاني الدالة على

مشربه وفلسفته. وان شعراً يحوي على مثل هذه الميزات المتنوعة ويُضَمِّن في شطوره الأربعة ما يحتاج شرحه إلى عدة صفحات من

المعاني الحكمية العالية المتينة لهو دون شك محصول عبقرية فذة ونبوغ نادراً. وقد كان سلوك الخيّام فيما كتبهُ مسلك الريب والشك. وهزؤه بأهل زمانه وطباع معاصريه، وجرأته في القول على تعدى حدود الدين والآداب، واستعماله الكنايات المرّة في الطعن والتشنيع على المرائين من أدعياء الزُهدة والورع، كل ذلك مما حمل أهل زمانه أن ينظروا إليه شزراً. وقد يكون من دواعي خمول ذكره في إيران وذيوعه في الغرب واحترام الغربيين وتقديرهم له أنه سبق زمانه بعصور من الوجهة الفكرية، حتى أنه لم يوجد في إيران مَن يفتّش عن آثاره ويهتم بطبعها! وكم نجد من العيب والقُبح والخطأ في نسخ الرباعيات الفارسية المطبوعة في إيران والهند اذا قيست بنسخ الرباعيات المترجمة في أوروبا وأمريكا من جهة الاتقان والتزيين والتصوير والتهذيب!. وقال (**تيوفيل غوتيه**) أحد أدباء القرنيين المتوفي سنة (١٨٧٢) صاحب المؤلفات الكثيرة عند ذكره الخيّام ما يأتي: (إنَّ رباعيات الخَيّام تحتوي جميع مقاطع هاملت قطعة قطعة).

قال الحكيم المؤرّخ (**أرنست رينان**) في بعض كتبه في صدد مؤازرتهِ بين أحد الشعراء والخيّام: (وليس له قوّة الخيّام ولا تهكّمه ومزاحه المر، وهو الذي لم يُشاهّد في عصر من العصور شاعر إباحي مثله !).

وقال المسيو (**باربيه دومنياد**) وهو من أعاظم المستشرقين الفرنسيين عند ذكرِهِ الخيّام: (أليسَ بعد حادثة غريبة ظهور شاعر في إيران في القرن الحادي عشر للميلاد يكون كما قال رينان، نظيراً لغوته وهانري هاينه!). كان الخيّام ينظم شعره رباعيات، والرباعية قطعة مستقلّة فيها وحدة الشكل والمضمون. وتُعَد أعلا أنواع الشعر الفارسي

والمضمون الشكل إذا حاكت برودها يد شاعر له مقدرة وجدارة. وفحول الشعراء يمهدون للغرض الشعري الذي يرمون إليه في الشطور الثلاثة الاولى، وفي الشطر الرابع يفرغون النتيجة التي مهَّدوا لها

والذين ينظمون الرباعيات في فارس يُعدّون بالمئات ولكن الخيّام نسيج وحده وهو أستاذ الأساتذة في نظم الرباعيات، ويكفي لمعرفة ذلك المقايسة لأي رباعية من رباعياته وأية رباعية لغيره في مرماها ومعناها يظهر الفرق جلياً في الاتجاه والاسلوب والبيان. هذه هي العلامة الفارقة التي تُميّز شعر الخيّام من غيره٠ وقد اشار إلى الجهات التي يمكن تفريق شعر الخَيّام بها عن غيره (ميرزا محمد خان قزويني) وهو من أعاظم أدباء الفرس المقيمين في باريس اليوم في رسالة نشرها بالفرنسة مع (كلود آنيت) أحد الكُتّاب الفرنسيين فقال: (إنَّ الفكر الذي يضمّنه الخَيّام إحدى رباعياته فكر معقول جلي وواضح. لا تأتلف معه العناصر الأجنبية المدسوسة فيه. وتظهر آثارها حالاً عليه. لأن الخَيّام لا يتقيَّد بمسائل الشك والايمان، فلا التدقيق بزعمه ولا التفكير والشعور يفيدنا شيئاً. وسَيّان مَن إشتغل بالعلم أو بالدين لحل معنى هذه الخليقة وكشف معضلتها فكلٌ منهما عاجز. فهو يقول نحن لا نستطيع إدراك أيّة حقيقة كانت. وليس وراء هذا الثَرى ثوابٌ ولا عِقاب!. . وليست الأيام التي تنقضي بين طرفي حياتنا إلّا أياماً قصيرة يجب أن نُسارع إلى إنتهازها ولو كانت موقتة!. وليست الحقيقة المجردة لأيّام هذه الحياة التي تتقلص وتفيء كالحلم إلّا الشَراب وتعشّق الجمال والشباب ونور القمر يقع على الأفاريز والاطناف، ونغمات الناي تهتز لها جنبات الفَلَوات والكروم. والورود حينما تفتر عنها الاكمام!. وهو الذي يقول لنا بعد أسفار بني إسرائيل كل شيء باطل وفانٍ !. فلنغتنم ملذاتنا فليست الغاية من الحياة إلّا هذا !.

وللخيّام نفاذ فكر ونظر خاص وشفّافية في البيان، وسِعة قريحة وخيال، وبعد عن الاطناب في الكلام تجعل له مكانة سامية خاصة بين شعراء الفرس المبرزين). ولا شك أنه دُسَّ بين لئالئ شعر الخيّام كثير من الرباعيات ذات المغازي الصوفية والعبارات المشيرة إلى معانٍ مزاجية سمجة! حتى أن ترجمة (فيتز جرالد) النفيسة لم تَخْلُ من كثير من هذا النوع المدسوس الذي لا يجوز أن يُنسَب إلى الخيّام. ومِمّا لا ريب فيه ان سلوك عمر الخيّام أهاج عليه المتصوِّفة من أهل زمانه فهاجموه بشدة ولعل بعض من دَسَّ على الخيّام هذه الرباعيات الصوفية رمى إلى تبريره وتنزيهه وأنَّهُ أراد أن يختم شيخوخته بخير فأصح يفكر في كل شيء من ناحيته الدينية. وهذا يفنده قول الخَيّام في إحدى رباعياته:

من دامن زهد وتوبه طي خواهم كرد **باموي سفيد قصد مي خواهم كرد

بيمانهء عمر من بهفتاد رسيد**اين دم نكنم نشاط كي خواهم كرد

أي؛ (إنّي سأطوي ذيل الزُهدِ والتوبة، وسأمشي إلى الخمرةِ بشعري الأبيض هذا! وها أنا قد بلغتُ السبعين فإن لم أنشط في هذا الوقت فمتى أنشط؟).

ليس في شعر الخَيّام غايات خاصة كالدين والوطن والإنسانية والأخلاق يرمي اليها، بل أن له طراز تفكير خاص وطبيعة فلسفية خاصة، ورغم أن الخَيّام لم يكن مقلداً في شعره فقد نُسِبَت إليه المُحاكاة لغيره. وقد حذا حذوه كثيرون من شعراء الفرس وأثَّروا بأفكاره وظواهر هذا التأثّر، ضعيفاً كان أو قوياً، تُشاهد في (حافظ شيرازي) و(ناصر خسرو) وغيرهما أما المتأخّرون فلم يكن بينهم أكثر توفيقاً في محاكاة الخَيّام ومجاراته من المرحوم (ميرزا عباس خان أديب) الأديب الفارسي

المتوفي من عهد غير بعيد. فقد كانت روح الخَيّام ترفرف على كل رباعية من رباعياته، وتشم عبقات أفكاره في كل ما نظمه وحاكى الخيّام به، وليس في المعاني فحسب بل في الالفاظ أيضاً.

فلسفة الخيّام

دلّت الوثائق التي وصلتنا على ان الخَيّام لم يكن أخصائياً في العلوم الرياضية والحكمية فحسب بل كان فوق ذلك شاعراً ممتازاً ومفكّراً من أكابر المفكرين وقد وضع مؤلفات فلسفية وفقاً لرأي خاص، وكان أستاذاً في الفلسفة لعلماء متشرعين. وهذا يعني أنه ليس مفكراً فحسب بل فيلسوفاً صاحب طريقة ومذهب.

وقد أخطأ أكثر المؤلفين والرواة والنقّاد في فهم أفكار الخيّام وتعيين عقيدته الفلسفية والدينية. مع أنّه من النادر أن نجد كالخيّام كاتباً بنى عقيدته على أحكام معينة معلومة ووضَّح أفكاره ببيان وبلاغة كبيانه.

فلسفة الخيّام اللاأُدريّة Agnostisisme

إنَّ الخَيّام في مسائل (ما وراء الطبيعة) أي في مسائل (الوجود المطلق) والمعاد) Agnostiqueو (حقائق الأشياء) و (حقيقة الروح) و (المبدأ من صنف الفلاسفة اللا أباليين (الذين يعترفون بالجهل ويرون أنّض طاقة البشر لا تستطيع أن تُحيط بمثل هذه المسائل.

ان بعض رباعيات الخَيّام تدل على أنه كان مؤمناً بقدرة قاهرة فوق البشر وهي (القدرة الكلية) وهو قانع بوجود صَمَداني سرمدي هو (الله). وبحث في (الحقيقة المظلة) بحثاً مشبعاً وأفاد أنها (فوق العقل والمعرفة). وإذا لاحظنا بعض رباعياته نستطيع القول أنَّ (القدرة الكليّة) التي آمن بها تشبه (الوجود المطلق) الذي قالت به الفلسفة

أكثر من أن تشبه (الله) في الاديان. ومهما يكن الأمر فإنَّ الخيّام ليس (منكراً) كما أنه ليس (متديناً) ولم يعبأ بشيء مما تجب رعايته من أمور الشرع. أمّا الذي أشغله دائماً واعتنى جداً بالكتابة عنه فهو تلك المعمعيات السرمدية التي حار لها الفلاسفة والعلماء وأغرقوا في التفكير العميق من أجلها.

والخَيّام كغيره من كبار الفلاسفة يقول بعدم إمكان الوصول إلى معرفة أسرار الأزل. ولن يتيسَّر لإنسان حل هذه المعمعيات. وكل مَن أشتغل في المسائل الفلسفية يعلم أنه ما من أحد توغَّل في طلب الكشف عن حقيقة الموجودات المحسوسة إلّا وعاد بالخيبة يائساً من الوصول. لأن صور الحادثات لا ترتبط بالحقيقة المطلقة وإنَّما ترتبط بأجهزتنا الحسيّة. وجميع ما ندركه من الموجودات انما يكون ادراكنا له بسبب قابليتنا الحسيّة..

واقوال الصوفية وعلماء الطبيعة متَّفقة في ذلك وتُلخَّص كما يأتي: (ان ما وصلنا إليه من علم في الكائنات ليس هو الحقيقة والواقع، وهو علم موافق لوسائلنا الادراكية. وعلى هذا لا يكون العلم نفس المعلوم. ولو جُهِّزنا بآلات إدراك غير هذه الآلات لَكُنّا رأينا الأشياء على غير ما نراها الان ولأدركْناها غير هذا الإدراك)، ولعدم تقيّد الخَيّام بالدين لا يمكننا عدَّهُ وَرِعاً تقياً ولا حكيماً صوفياً، ولابد من عَدَّهُ من (الأحرار المستقلين) في تفكيرهم، وهذا ليس معناه أنَّهُ (جاحِد).

فلسفة الخيّام الإنقلابيّة (Mobilism)

لقد كان نظر الخَيّام إلى الحادثات) نظراً فلسفياً علمياً ينطبق إنطباقاً شديداً على الفلسفة العلمية أالتي ذهب إليها الفلاسفة الطبيعيون،

(Les Naturalistes)

وإسقراء رباعياته المُفمصِحَة عن آراءه وأفكاره التي من هذا القبيل يجعلنا نقطع بأنه مِن المتزمتين (فلاسفة الإنقلاب -

Philosophie du changement) وهذه الفلسفة تُعرَف

بالمويليزم. ففي نظر الخَيّام: (أنَّ هذه الكائنات سيل يستمر يندفع من الأزل إلى آخر الأبد. والإنسان في هذا السيل كدقاق العيدان يقذفها ويمضي بها، وهو في ذلك جاهل لا يدري من أين أتى ولا إلى أين يذهب. جميع العناصر في تركّب وانحلال دائم، الأجزاء البسيطة التي تركب منها مادة الموجودات هي دائماً في تجمّع وتفرّق، والإنسان الذي يموت وتودع جثّته بطن الثَرى، ذلك المعمل الكبير الذي نُسميه (الطبيعة)، تتحلل عناصره وتتبعثر. وقد يدخل بعض هذه العناصر المتبعثرة في عفصة سروة أو زهرة خُبّيزة. وربما صار بعضها الآخر إلى كتلة طين فيصنع منه الخزّاف عروة لإبريق أو أذناً لجرّة! ولعل في أكواب الشراب التي يطوف بها الساقي ذرات من جمجمة كيخسرو أو قحف جمشيد.. وربما كانت الزنابق التي تُزيّن ضِفاف الجداول شَفة حسناء أو قلب معمود! وهكذا يستمر العالم في هذا الانحلال والتركيب دون أن يعرف الانقطاع أو التوقّف.. فإذا تبعثرت العناصر وتفرّقت في أجسام أخرى فليس من الممكن أن تعود لتؤلّف لجسم الأوَّل!

وهذه الأفكار المستخرجة من أكثر رباعيات الخيّام هي من الأمور المسلَّمة التي تكَوِّن المبادئ الاولى والمعتقدات الأصلية لفلسفة مرغوبة معروفة في كل زمان عند الطبيعيين ومن المسلَّم عند أهل

المعرفة أن العقيدة الأساسية للمادية (Naterialisme) التي

أقتُبِسَت أصولها وأحكامها من العلوم الطبيعية هي هذه. ونستطيع القول إنَّ هذه الفلسفة هي التي ألهمَت الخَيّام أجمل رباعياته وأشدَّها تأثيراً ووقعاً في النفس. وما يفيد هذا المعنى كثير يكاد يبلغ ٧٥% منها

تشاؤم الخَيّام:

كان الخيّام متشائماً وهذا التشاؤم نتيجة إعتقادية لفلسفته التي تجر حتماً إليه لأنها تُميت الأمَل وتُدخِل على القلب اليأس.. ومن كان يعتقد أن لا فائدة من أعماله وان لا ثواب ولا عقاب عليها في عالم غير هذا العالم لا مندوحة له عن الاستسلام إلى الطيرة والارتماء في أحضان التشاؤم.. والذي لا يؤمن بالبعث بعد الموت والحياة الأخروية ويعتقد ان الغاية عَدَم مُطلَق تكتنف ظلمات القنوط نفسه وتستولي عليها ويجره اثره إلى التشاؤم فالتشاؤم بهذا الاعتبار ليس غريزياً أو فطرياً وإنما هو عارض يتسلّط على الذهن وخاصة الذهن المفكّر فيتطيَّر مِن كل شيء، ولا يرى من جميع ما يراه إلّا صفحة الشَر. ولكي يستطيع الإنسان تبديد الهواجس المؤدية إلى اليأس وشقاء الإنسانية أوصى الفلاسفة التمسّك بحقائق الإيمان والرجوع إلى التديّن، والفلاسفة الذين يجدون في الدين والتديّن راحة الإنسانية وسعادتها هم غير قليل اليوم. وفكرة التشاؤم هذه ساقت الخيّام إلى العدمية (Nihilism)

كما تنطق بذلك بعض رباعياته، فهو يرى أن حياة الإنسان لاشيء إذا قيسَت بالأبدية.

وأنَّ لا نفع من الحياة لأن الموت بالمرصاد.. وأقول: هَب أنَّك شعلة سرور وغِبطة، أليس مصير هذه الشعلة الإنطفاء فإذا إنطفأَت فإنَّكَ لا شيء!. ثم يقول إذا كان الأمر كذلك فإنَّ هذه الدنيا وما فيها لاشيء. وهَب أنك قدح جمشيد فلا بد أنَّكَ ستتحطّم فإذا تحطّمتَ فإنَّكَ لا

شيء!. وجميع ما نقول ونسمع لا شيء! على أن فلسفة التشاؤم هذه هي من خصائص فلسفة الخَيّام النظرية أمّا فلسفة العملية فإنها فلسفة سعادة وهناء وفلسفة شهوات وملذات فهو يحض في كثير من رباعياته على ما تقضيه هذه الأيام القليلة من العمر في اللذّات والنيل من حظوظ الدنيا. فهو بذلك (أبيقوري) النزعة يجد السعادة في مطاوي اللذائذ والمشتهيات. ومن أروع رباعياته في هذا المعنى قوله:

مي خوردن وشاد بودن آبين منست * فارغ بودنز كفر ودين، دين منست

كفتم بعروس دهر كابين تو چيست *كفتا: دل خرم تو كابين منست

أي؛ أنَّ إحتساء الخمرة والفرح من عادتي.. وديني ترك الكفر والدين!.

قلت لعروس الدهر ما مهرك؟ قالت قلبك الفرح هو مهري!) وهذه المصاريع الأربعة من هذه الرباعية دساتير أربعة تُشير إلى مذهب الخَيّام ورأيه في الحياة والكُتّاب الغربيون أكثر ما يُشبّهون الخَيّام بأبيقور و (لوكريسيوس). الشاعر الروماني وأبي العلاء المعرّي وغوته وشونبهاور وهاينة - والحق ان الخَيّام أليَق مُرشَّح شرقي ليُحشَر مع هذه الزمرة فإن قسماً من رباعياته لا يعدو بعض ما نحاهُ في مقطعاته الشاعر الروماني (لوكريسيوس) الذي يمثل في شعره آراء أبيقور أحسن تمثيل. أمّا مشابهتهُ لأبي العلاء فمما لا شُبهةً فيه: فإن أفكار الشاعرين الحكيمين وإعتقاداتهما متماثلة، ولا ندحة عن القول بأنَّ الشاعر الخَيّام تتَبَّع أسفار أبي العلاء الذي سبقه إلى عالم الخلود بستين أو سبعين سنة ولم يستطع أن يفلت من تأثيرها فيهِ. ومن الغريب أن هذين الحكيمين المتشابهين في كثير من المسائل الفلسفية والاعتقادية يختلفان كل الاختلاف في بعض وجهات نظرهما حتى يُخَيَّل أنهما شخصيتان متناقضتان. والظاهر أنَّ ذلك ناشئ من إختلاف مزاجَيْهُما

الذي أثَّر في نظرَتيْهما إلى الدنيا وإلى حل قضية الحياة وتعيين دستور العمل من أجله فكان من جَرّاء ذلك أن وقعا نتائج عملية متباينة كل التباين.

ثمَّ أن تشاؤم أبي العلاء لم يكُن كتشاؤم الخيّام نظريا وشعرياً بل كان تشاؤماً حقيقياً قاهراً مظلماً. وكان أبو العلاء وقوراً في تفكره جدياً صحيح النظر ولذلك أتى شعره وقوراً فلسفياً على أسلوب متين موجز بليغ. عاش أبو العلاء ما عاش زاهداً متقشّفاً بعيداً عن اللذّات والشَهَوات فكان ينظر دائماً إلى لذائذ الدنيا نظرة إزدراء ويحضّ بأقواله الفلسفية الأخلاقية على العيش الحر في ظلال القناعة والزهد. أما الخيّام الشاعر الفارسي فهو من غواة الانهماك باللذّات والمفتونين بالجمال ومن الذين يعرفون كيف يستمتعون بمتع الحياة ولذائذها وكيف يوقفون سيرهم على ما تقتضيه فهو (أبيقوري) عاقل معتدل وليس له أي قول يدل على أنه من المولعين بإلقاء دروس الفضيلة والأخلاق على الناس، بينما نجد أن المستشرقين والمدققين من رجالات الغرب مُجمعون على أن قضايا الاخلاق أشغلت أبا العلاء أكثر من قضايا الاعتقاد، وان الذي أكسبه موقعاً ممتازاً بين الحكماء ليس الحث على النيل من لذائذ الدنيا بل حثّه على الفضيلة والزهد والقناعة، وقد نجد في أسفاره بعض قواعد أخلاقية ودساتير ليس بالإمكان مهما جهدنا أن نجد خيراً منها. ومن هذا يتبيَّن أن بين هذين الحكيمين المتشابهين كل التشابه في عقائدهما الفلسفية وفي موقفهما الصريح تجاه الأديان والمذاهب فروقاً بارزة باعتبار مغايرة المشارب والأمزجة.. وبقدر ما أحسن أبو العلاء تمثيل السجية الممتازة للعِرق السامي الذي هو منه إستطاع الخَيّام الفارسي كذلك تمثيل سجيّة العِرق الآري، وهذه المباينة في الطباع تجعلنا نعد الشاعر أبا العلاء من

حيث فلسفته من الرواقيين (Les stoiciens) والشاعر الفارسي الخَيّام من (الابيقوريين). واتفاق الشاعرين في بعض النظريات الفلسفية لا يمنع من الاختلاف في الفلسفة العملية. وأما في الفلسفة تشابهاً تاماً ومن أبرز الشواهد الانقلابية فان بين أبي العلاء والخَيّام على ذلك قصيدة أبي العلاء التي مطلعها:

(غَيْرُ مُجْدٍ في مِلّتي واعْتِقادي نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنّمُ شادِ).**

وهذه القصيدة نجد جميع ما فيها من الأفكار في رباعيات الخَيّام. وأمّا مشابهة الخَيّام لشوبنهاور فهي من جهة تشاؤمهما. وأما شبهة بفولتير الشاعر الفرنسي فهو من جهة عدم المبالاة بالدين غير أنَّ إستهزاءات نفولتير وتهكماته الدقيقة الرقيقة لا نجد لها مثيلاً في رباعيات الخَيّام. وأمّا الاشمئزاز من الناس والنفرة منهم فليسا من طبيعة فولتير ولا من طبيعة الخَيّام. وأما غوته أعظم شخصة أدبية ممتازة في القرن الثامن عشر فإنَّ نظره الفلسفي إلى الكائنات يشبه نظر الخَيّام لكن أثره واسلوبه واعتقاده في الله والبشر يختلف اختلافاً تاماً عن الخيّام.

هل الخيّام صوفي:

إنَّ القطع أنَّ الخَيّام صوفي لا يخلو من الخطأ فإنَّ كثير من الأعاظم الذين عاصروا الخَيّام لو جاءوا بعده لن يُخطئوا في معرفة مذهب الخَيّام ومشربه كالإمام الغزالي والقفطي ونجم الدين الرازي. أما الغزالي فقد وقع بينه وبين الخَيّام عدة اجتماعات كان البحث يدور فيها حول مسائل علمية وفلسفية، ولمّا عَلِمَ الغزالي ان الخَيّام فيلسوف مُخالف له كل المخالفة في المشرَب والاعتقاد قطع صِلَتَهُ به، كما رواه (الشهرزوري) في كتابه (نزهة الأرواح) وأمّا (القفطي) فإن ذكر في كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكاء) عند ذكره الخَيّام قوله: (وقد وقَفَ

متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها إلى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم، وبواطنها حيات للشريعة لواسع ومجامع للأغلال جوامع)، وأما (نجم الدين الرازي) فإنّه أشار إلى الخيّام في كتابه (مرصاد العباد) وقال عنه أنَّهُ (فلسفي دهري طبيعي!).. وهذه الاقوال صريحة في أنَّ الخيّام ليس من الصوفية. لا سيما نجم الدين الرازي فإنّه من كبار الصوفية وقوله هذا فصل. أمّا الذين توهموا أنَّ الخَيّام شاعر صوفي فقد بَنوا وهمهم هذا على بعض أفكار أوردها الخيّام في رباعياته عفواً فحملوها على محمل التصوّف٠ وبعض الأفكار نقد تكون مشاعاً بين مذاهب متعدد؛ فلا يمكن فهم التخصيص منها. وارباب المذاهب يعرفون كيف يفرقون أقوال شيعة مذهبهم من غيرها. وجميع ما ورد في رباعيات الخَيّام من الافكار التي توهم التصوّف محمولة على ما ذكرناه. هذا ما أردنا الإلماع اليه من شعر الخيّام وفلسفته مراعين في ذلك الايجاز تاركين الشرح والاستقصاء إلى رسالتنا (شعر الخَيّام وفلسفته) التي ستمثل بالطبع قريباً، ولعلنا أصبنا الهدف في إخراجنا هذه الكلمة المستعجلة والرسالة لأننا نعتقد أننا بذلك قد سددنا فراغاً من هذه الناحية في مكتبة الأدب العربي، والله سبحانه من وراء القصد.

دمشق: **أديب التقي**

أَخيّامُ قد أرسلتَ رُوحَكَ هادياً ** لرُوحيَ في إتقانِ هذي التراجِمُ

فإنّيَ تِلميذُ لرُحِكَ في الأسى ** أُمارِسُهُ من قبلِ حَلِّ التمائِمِ

لَئِن نِلْتَ مِنْ بَعْدِ التَّشاؤُمِ لَذَّةً ** فَما نِلْتُ مِن دُنْيايَ غَيْرِ التَّشاؤُمِ

رباعيات
الخَيّام

١

كُلُّ ذَرَّاتِ هذهِ الأرْضِ كانَتْ
أَوْجُهاً كَالشُّمُوسِ ذاتَ بَهَاءِ
أُجْلُ عَنْ وَجْهِكَ الغُبَارَ بِرِفْقٍ
فَهْوَ خَدٌّ لِكَاعِبٍ حَسْنَاءِ

٢

إِنَّ رُوحاً مِنْ عَالَمِ الطُّهْرِ جَاءَتْ
لَكَ ضَيْفاً مَا التَاثَ بِالغَبْرَاءِ
إِسْقِها أَكْؤُسَ الصَّبوحِ صَباحاً
قَبْلَ تَوْدِيعِهَا أَوَانَ المَسَاءِ

٣

منْ تَحرَّى حَقِيقَةَ الدَّهْرِ أضْحَى
عِنْدَهُ الحُزْنُ وَالسُرُورُ سَواءَ
إِنْ يَكُنْ حَادِثُ الزَّمَانِ سَيَفْنى
فَلْيَكُنْ كُلُّهُ أَسىً أَوْ هناءَ

٤

قالَتِ الْوَرْدَةُ لاَ خـ ـدَّ كَخَدِّي فِي البَهاءِ
فَإِلى مَ الظلْمُ مِمَّنْ يَبْتَغِي عَصْراً لِمَائِي
فأَجَابَ البُلْبُلُ الغِـ ـرِّيدُ فِي لَحْنِ الغِنَاءِ
منْ يَكُنْ يَضْحَكُ يَوْمَاً يَقْضِ حَوْلاً بِالبُكَاءِ

٥

لَيْسَ يُدْرَى بِمَنْطَقٍ وَقِيَاسٍ
أَيَّ وَقْتٍ دَارَتْ بِهِ الزَّرْقَاءُ
أَوْ مَتى تُصْبِحُ السَّمَاءُ خَرَاباً
قّدْ تَدَاعَتْ وَانْهَدَّ مِنْهَا البِنَاءُ

٦

دَعْ عَنْكَ حِرْصَ الوُجُودِ وَاهْنَأْ
إِنْ أَحْسَنَ الدَّهْرُ أَوْ أَسَاءَ
وَاعْبَثْ بِشَعْرِ الحَبِيبِ وَاشْرَبْ
فَالْعُمْرُ يَمْضِي غَداً فِي هبَاءَ

٧

إِنْ تَوَاعَدْتُمُ رِفاقِي لأُنْسٍ

وَسَعِدْتُمُ بِالغَادَةِ الهَيْفَاءِ

وَأَدَارَ السَاقِي كُؤُوسَ الحُمَيَّا

فَاذْكُرُونِي فِي شُرْبِهَا بِالدُّعَاءِ

٨

إِنْ تَلاقَيْتُمُ أَخِلايَ يَوْماً

فَأَطِيلُوا ذِكْرَايَ عِنْدَ اللِّقَاءِ

وَإِذا مَا أَتَى لَدَى الشُّرْبِ دَوْرِي

فَأَرِيقُوا كَأْسِي علَى الغَبْرَاءِ

٩

إِنْ كُنْتَ لا تَفْنَى سِوَى مرَّةٍ

فَافْنَ وَدَعْ هَذَا الأَسَى وَالشَّقَاءْ

وَكُنْ كَأَنْ لَمْ تَحْوِ ذَا الجِلْدَ أَوْ

ذَا الدَّمَ وَاللَّحْمَ وَخَلِّ العَنَاءْ

١٠

قَدْ خَاطَبَ السَّمَكُ الأَوُزَّ مُنَادِياً

سَيَعُودُ مَاءُ النَّهْرِ فَاصْفُ هَنَاءا

فَأَجَابَ إِنْ نُصْبِحْ شِواءً فَلْتَكُ أل

ـدُّنْيَا سَرَاباً بَعْدَنا أَو مَاءا

١١

مَا الكُونُ دَارُ إِقامَةٍ فَأَخُو النُهى

أَوْلَى بِهِ أَنْ يُدْمِنَ الصَّهْباءا

أَطْفِئْ بِمَاءِ الْكَرْمِ نِيرَانَ الأَسَى

فَلَسَوْفَ تَذْهَبُ فِي الهَوَاءِ هَبَاءا

١٢

طَالَ كَهَمِيّ عُمْرُ الْحَبِيبِ فَقَدْ

أَوْلانِيَ الْيَوْمَ خَيْرَ نَعْمَاءِ

فَقَدْ رَنَا لِي وَمَرَّ يُومِيُ أَنْ:

" أَحْسِنْ وَأَلْقِ الإِحْسَانَ فِي الْمَاءِ"

١٣

إِخْتَرْ بِدَهْرِكَ قِلَّةَ الرُّفَقَاءِ

وَاصْحَبْ بَنِيهِ وَأَنتَ عَنْهُمْ نَاءِ

فَمَنْ اعْتَمَدْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَنْظُرْهُ فِي

عَيْنِ الْبَصِيرَةِ أَعْظَمُ الأَعْدَاءِ

١٤

لاتَنْظُرَنَّ إِلَى الْفَتَى وَفُنُونِهِ

وَانْظُرْ لِحِفْظِ عُهُودِهِ وَوَفَائِهِ

فَإِذا رَأَيْتَ الْمَرْءَ قَامَ بِعَهْدِهِ

فَاحْسِبْهُ فَاقَ الكُلَّ فِي عَلْيَائِه

١٥

لَقَدْ آنَ الصَّبُوحُ فَقُمْ حَبِيبِي

وَهَاتِ الرَّاحَ وَاشْرَعْ بِالغِنَاءْ

فَكَمْ (جِمْشِيدَ) أَرْدَى أَوْ (قُبَادٍ)

مَجِيءُ الْصَيْفِ أَوْ مَرُّ الشِّتاءْ

جمشيد: أحد ملوك الفرس القدماء وكان مشهوراً بانهماكه في المُسكرات والملذّات. **قباد**: أحد ملوك الفرس الأكاسرة ويُقال له أيضاً كيباد وكيخسرو

١٦

مَا شَهِدَ النَّارَ وَالْجِنَانَ فَتىً

أَيُّ امْرِئٍ مِنْ هُنَاكَ قَدْ جَاء

لَمْ نَرَ مِمَّا نَرْجُو وَنَحْذَرُهُ

إِلاَّ صِفَاتٍ تُحْكَى وَأَسْمَاء

١٧

إِنْ تَجُدْ لِي بِالْعَفْوِ لَمْ أَخْشَ ذَنْباً

أَوْ تَهَبْ لِي زَاداً أَمِنْتُ الْعَنَاءَ

أَوْ تُبَيِّضْ بِالْعَفْوِ وَجْهِي فَإِنِّي

لَسْتُ أَخْشَى صَحِيفَتِي السَّوْدَاءَ

حرف الباء

١٨

قَدِ انْطَوَى سِفْرُ الشَبَابِ وَاغْتَدَى

رَبِيعُ أَفْرَاحِي شِتَاءً مُجْدِبا

لَهْفِي لِطَيْرٍ كَانَ يُدْعَى بِالصِبَا

مَتَى أَتَى وَأَيَّ وَقْتٍ ذَهَبَا

١٩

إِلهِيَ قُلْ لِي مَنْ خَلا مِنْ خَطِيئَةٍ
وَكَيْفَ تُرَى عَاشَ الْبَرِيءُ مِنَ الذَّنْبِ
إِذَا كُنْتَ تُجْزِي الذَّنْبَ مِنِّي بِمِثْلِهِ
فَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنِي وَبَينَكَ يَا رَبِّي

٢٠

يَا بَاقِياً رَهْنَ الرِّياءِ وَرَائِحَاً
لِقَصِيرِ عَيْشِكَ فِي عَنَاءٍ مُتْعِبِ
أَتَقُولُ أَيْنَ تَرُوحُ مِنْ بَعْدِ الرَّدَى
هَاتِ المُدَامَ وَأَيْنَ مَا شِئْتَ اذْهَبِ

٢١

رَأَيْتُ فِي النَوْمِ ذَا عَقْلٍ يَقُولُ أَلا
لا يَجْنِيَنَّ الْفَتَى مِنْ نَوْمِهِ طَرَبَا
حَتَّى مَ تَرْقُدُ كَالمَوْتَى فَقُمْ عَجِلاً
فَسَوْفَ تَهْجَعُ فِي جَوْفِ الثَّرَى حُقُبَا

٢٢

غَدَوْنَا لِذِي الأَفْلاكِ أَلْعَابَ لاعِبٍ

أَقُولُ مَقَالاً لَسْتُ فِيهِ بِكَاذِبِ

عَلَى نَطْعِ هَذَا الْكَوْنِ قَدْ لَعِبَتْ بِنَا

وَعُدْنا لِصَنْدُوقِ الْفَنَا بِالتَّعَاقُبِ

٢٣

أَوَّلُ دَفْتَرِ المَعَانِي الهَوَى

وَإِنَّهُ بَيْتُ قَصِيدِ الشَّبَابْ

يَا جَاهِلاً مَعْنَى الهَوَى إِنَّمَا

مَعْنَى الحَيَاةِ الْحُبُّ وَالانْجِذَابْ

٢٤

إِنْ تَحْلُ لَدَى الرَّبِيعِ كَفُّ السُحْب

حَدَّ الأَزْهَارِ فَابْتَدِرْ لِلشُرْبِ

فَالْيَوْم يدِي الرَّوْضَةِ تَرْتَاحُ وَمِنْ

ذَرَّاتِك سَوْفَ تَزْدَهِي بِالعُشْبِ

٢٥

تَزْدَادُ حَيْرَةُ عَقْلِي كلَّ دَاجِيَةٍ
وَالدَّمْعُ حَوْلِيَ مِثْلَ الدُّرِّ مَسْكُوبُ
لا يَمْتَلِي جَامُ رَأْسِي مِنْ وَسَاوِسِهِ
وَلَيْسَ يُمْلأُ جَامٌ وَهُوَ مَقْلُوبُ

٢٦

قَدْ حَظِينَا بِالغِنَا وَالرَاحِ فِي الدَّارِ الْخَرَاب
وَفَرَغْنَا مِنْ مُنَى الرَّحْمَةِ أَوْ خَوْفِ الْعِقَابْ
وَسَمَوْنَا ثَمَّ عَنْ مَاءٍ وَنَارٍ وَتُرَابْ
فَالكِسَا وَالكَأْسُ وَالعَقْلُ مَعاً رَهْنُ الشَّرَابْ

٢٧

أَمَا تَرَى الأَزْهَارَ فِيهَا عَبِثَتْ يَدُ الصَّبَا
وَمِنْ جَمَالِهَا غَدَا الْبُلْبُلُ يَشْدُو طَرَبَا
فَبَادِرِ الزَّهْرَ وَدَعْ عَنْكَ الأَسَى وَالكُرَبَا
فَهَذِهِ الأَزْهَارُ كَمْ زَهَتْ وَكَمْ عَادَتْ هَبَا

٢٨

قَالَ قَوْمٌ أَطْيبَ الْحُورَ فِي الجَنَّـ

ـةِ قُلْتُ الْمُدَامُ عِنْدِيَ أَطْيَبْ

فَاغْنَمِ النَّقْدَ وَاتْرُكِ الدَّيْنَ وَاعْلَمْ

أَنَّ صَوْتَ الطُّبُولِ فِي البُعْدِ أَعْذَبْ

٢٩

إِنْ تَشْرَبِ المُدَامَ أُسْبُوعاً فَلا

تَدَعْ لَدَى الجُمْعَةِ قُدْساً شُرْبَهَا

أَلسَبْتُ وَالجُمْعَةُ عِنْدِي اسْتَوَيَا

لا تَعْبُدِ الأَيَّامَ وَاعْبُدْ رَبَّهَا

٣٠

هَذَا أَوَانُ الصَّبُوحِ وَالطَّرَبِ

وَنَحْنُ وَالْحَانُ وَابْنَةُ العِنَبِ

أُصْمُتْ نَدِيمِي هَلْ ذَا مَحَلٌّ تُقىً

وَاشْرَبْ وَخَلِّ الْحَدِيثَ وَاجْتَنِبِ

٣١

لَمْ أَشْرَبِ الرَّاحَ لأَجْلِ الطَّرَبِ
أَوْ تَرْكِ دِينِي وَاطِّرَاحِ الأَدَبِ
رُمْتُ الحَيَاةَ دُونَ عَقْلٍ لَحْظَةً
فَهِمْتُ بِالسُّكْرِ لِهَذَا السَّبَبِ

٣٢

لا عِشْتُ إِلاَّ بِالغَوَانِي مُغْرَماً
وَعَلَى يَدِي تِبْرُ المُدَامِ الذَّائِبُ
قَالُوا سَيَقْبَلُ مِنْكَ رَبُّكَ تَوْبَةً
لا اللَّهُ قَابِلُهَا وَلا أَنَا تَائِبُ

٣٣

لا تَتُبْ قَطُّ عَنِ الرَّاحِ فَكَمْ
تَوْبَةٍ مِنْهَا يَتُوبُ التَّائِبُ
قَدْ شَدَا الْبُلْبُلُ وَالْوَرْدُ زَهَا
أَبِذَا الْوَقْتِ يَتُوبُ الشَّارِبُ؟

٣٤

نَفْسِي تَمِيلُ إِلَى الْحُمَيَّا دَائِماً
وَالسَمْعُ يَهْوَى مِعْزَفاً وَرَبَابَا
إِنْ يَصْنَعُوا كُوْزاً ثَرَايَ فَلَيْتَهُمْ
أَنْ يَمْلَئوهُ مَدَى الزَّمَانِ شَرَابَا

٣٥

مَا خَلَقَ اللَّهُ رَاحَةً وَهَنَا
إِلاَّ لِمَنْ عَاشَ مُفْرَداً عَزَبَا
مَنْ تَرَكَ الانْفِرَادَ وَاقْتَرَنَا
فَقَدْ جَنَى بَعْدَ رَاحَةٍ تَعَبَا

٣٦

أَتَى بِي لِهَذا الْكَونِ مُضْطَرِباً فَلم
تَزِدْ لِيَ إِلاَّ حَيْرَةٌ وَتَعَجُّبُ
وَعُدْتُ عَلَى كُرْهٍ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّني
لِمَاذَا أَتَيْتُ الْكَوْنَ أَوْ فِيمَ أَذْهَبُ

٣٧

كُلَّ يَوْمٍ أَنْوِي الْمَتَابَ إِذَا مَا
جَاءَنِي اللَّيْلُ عَنْ كُؤُوسِ الشَّرَابِ
فَأَتَانِي فَصْلُ الزُّهُورِ وَإِنِّي
فِيْهِ يَا رَبِّ تَائِبٌ عَنْ مَتَابِي

٣٨

مَا زَالَ ظِلٌّ عَلَى الأَزْهَارِ لِلسُّحُبِ
وَلَمْ يَزَلْ بِيَ مَيْلٌ لابْنَةِ الْعِنَبِ
فَلا تَنَمْ لَيْسَ ذَا وَقْتَ الْكَرَى وَأَدِرْ
كَأْساً حَبِيبِي فَإِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ

٣٩

لِمَاذَا غَدَاةَ الرَّبُّ رَكَّبَ هّذِهِ الْـ
ـعَنَاصِرَ لَمْ يُحْكِمْ تَنَاسُبَهَا الرَّبُّ
إِذَا رَاقَ مَبْنَاهَا فَفِيمَ خَرَابُهَا
وَإِنْ لَمْ تَرُقْ مَبْنىً فَمِّمَنْ أَتَى الْعَيْبُ

٤٠

وَجَامٍ يَرُوقُ الْعَقْلُ لُطْفاً وَرِقَّةً
وَيَهْفُو عَلَيْهِ الْقَلْبُ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ
تَفَنَّنَ خَزَّافُ الْوُجُودِ بِصُنْعِهِ
وَيَكْسِرُهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ عَلَى التُّرْبِ

٤١

كَمْ لِلَّذِي بَسَطَ الثَّرَى وَبَنَى السَّمَا
مِنْ لَوْعَةٍ بِقُلُوبِنَا وَعَذَابُ
كَمْ مِنْ شِفَاهٍ كَالْعَقِيقِ وَطُرَّةٍ
كَالْمِسْكِ أَوْدَعَهَا حِقَاقَ تُرَابِ

٤٢

أُنْظُرْ حِسَابَكَ مَا أَتَيْتَ بِهِ وَمَا
تَغْدُو بِهِ مِنْ بَعْدُ مَهْمَا تَذْهَبِ
أَتَقُولُ لا أَحْسُو الظِّلا خَوْفَ الرَّدَى
سَتَمُوتُ إِنْ تَشْرَبْ وَإِنْ لَمْ تَشْرَبِ

٤٣

كَمْ سِرْتُ طِفْلاً لِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَكَمْ
أَصْبَحْتُ بَعْدُ بِتَدْرِيسِي لَهَا طَرِبَا
فَاسْمَعْ خِتَامَ حَدِيثِي مَا بَلَغْتُ سِوَى
أَنِّي بُدِئْتُ تُرَاباً ثُمَّ عُدْتُ هَبَا

٤٤

أَلا ارْحَمْ يَا إِلَهِي لِيْ فُؤَاداً
مِن الأَشْجَانِ أَمْسَى فِي عَذَابِ
وَرِجْلاً بِي سَعَتْ لِلْحَانِ قِدْماً
وَكَفّاً أَمْسَكَتْ قَدَحَ الشَّرَابِ

حرف التاء

٤٥

إِجْعَلُوا قُوْتِي الطِّلا وَأَحِيلُوا
كَهْرُبَاءَ الْخُدُودِ لِلْيَاقُوتِ
وَإِذَا مُتُّ فَاجْعَلُوا الرَّاحَ غُسْلِي
وَمِنَ الْكَرْمِ فَاصْنَعُوا تَابُوتِي

٤٦

يَقُولُ الْمُتَّقُونَ غَداً سَتَحْيَى
عَلَى مَا كُنْتَ فِي هَذِي الحَيَاةِ
لِذَا اخْتَرْتُ الْحَبِيبَةَ وَالحُمَيَّا
لأُحْشَرَ هَكَذَا بَعْدَ الْمَمَاتِ

٤٧

جَاءَ مِنْ حَانِنَا النِّدَاءُ سُحَيْراً
يَا خَلِيعاً قَدْ هَامَ بِالْحَانَاتِ
قُمْ لِكَيْ نَمْلأَ الْكُؤُوْسَ مُدَاماً
قَبْلَ أَنْ تَمْتَلِي كُؤُوْسَ الْحَيَاةِ

٤٨

هَبِ الدُّنْيَا كَمَا تَهْوَاهُ كَانَتْ
وَكُنْتَ قَرَأْتَ أَسْفَارَ الْحَيَاةِ
وَهَبْكَ بَلَغْتَهَا مِئَتَيْنِ حَوْلاً
فَمَاذَا بَعْدَ ذَاكَ سِوَى الْمَمَاتِ

٤٩

أَلْبَدْرُ شَقَّ بِنُورِهِ جَيْبَ الدُّجَى
فَاشْرَبْ فَلَنْ تَلْقَى كَذِي الأَوْقَاتِ
وَاهْنَأْ وَلا تَأْمَنْ فَهَذَا الْبَدْرُ كَمْ
سَيُضِيءُ فَوْقَ ثَرَى لَنَا وَرُفَاتِ

٥٠

إِنْ نِلْتُ مِنْ حِنْطَةٍ رَغِيفاً
وَكُوْزَ خَمْرٍ وَفَخْذَ شَاةِ
وَكَانَ إِلْفِي مَعِي بِقَفْرٍ
فُقْتُ بِذَا عِيشَةَ الْوُلاةِ

٥١

مَنْ نَالَ ذَرَّةَ عَقْلٍ عَادَ مُنْتَبِها
فَلَمْ يُضِعْ مِنْ ثَمِينِ الْعُمْرِ لَحْظَتَهُ
إِمَّا سَعَى لِرِضَاءِ اللَّهِ مُجْتَهِداً
أَوْ عَبَّ كَأَسَ الطِّلا وَاخْتَارَ رَاحَتَهُ

٥٢

مَا اسْطَعْتَ كُنْ لِبَنِي الْخَلاعَةِ تَابِعاً

وَاهْدِمْ بِنَاءَ الصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ

وَاسْمَعْ عَنِ الْخَيَّامِ خَيْرَ مَقَالَةٍ

إِشْرَبْ وَغَنِّ وَسِرْ إِلَى الْخَيْرَاتِ

٥٣

أُحْسُ الطِّلا عَنْكَ يَزُلْ هَمُّ الوَرَى

وَقِلَّةُ الأُمُورِ أَوْ كَثْرَتُهَا

وَلا تُجَانِبْ كِيمْيَاءَ قَهْوَةٍ

تُزِيلُ أَلْفَ عِلَّةٍ قَطْرَتُهَا

٥٤

جُسُومُ ذَوِي هَذِي الْقُبُورِ تَحَلَّلَتْ

فَبَيْنَ بُخَارٍ قَدْ عَلا وَرُفَاتِ

فَمَا هَذِهِ الرَّاحُ الَّتِي صَرَعَتْهُمُ

وَلَمْ يَنْهَلُوا مِنْهَا سِوَى جُرُعَاتِ

٥٥

هَلُمَّ حَبِيبِي نَتْرُكِ الْهَمَّ فِي غَدٍ
وَنَغْنَمْ قَصِيرَ الْعُمْرِ قَبْلَ فَوَاتِ
سَنُزْمِعُ عَنْ ذِي الدَّارِ رِحْلَتَنَا غَداً
بِسَبْعَةِ آلافٍ مِنَ السَّنَوَاتِ

٥٦

مَنْ كَانَ نِصْفُ رَغِيفٍ فِي الْحَيَاةِ لَهُ
وَمَسْكَنٌ فِيهِ مَثْوَاهُ وَرَاحَتُهُ
لَمْ يَغْدُ سَيِّدَ شَخْصٍ أَوْ غُلامَ فَتىً
فَهَنِّهِ فَلَقَدْ رَاقَتْ مَعِيشَتُهُ

٥٧

إِلَى الْحَانِ أَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ مُبَكِّراً
وَأَصْحَبُ فِيهِ ثَمَّ أَهْلَ الْخَلاعَاتِ
فَيَا عَالِمَ الأَسْرَارِ هَبْنِي هِدَايَةً
وَرُشْداً لأَغْدُو لِلدُّعَا وَالْمُنَاجَاةِ

٥٨

لا تَحْسَبَنِّيَ جِئْتُ مِنْ نَفْسِي وَلا
قَطَعْتُ وَحْدِي ذَا الطَّرِيقَ المُعَنِّتَا
إِنْ يَكُ مِنْهُ جَوْهَرِي وَمَنْشَئِي
فَمَنْ أَنَا وَأَيْنَ كُنْتُ وَمَتَى

٥٩

كُنْ كَالشَّقَائِقِ مُمْسِكاً كَأْساً لَدَى النَّـ
ـيْرُوزِ مَعْ وَرْدِيَّةِ الْوَجْنَاتِ
وَاشْرَبْ فَإِنَّكَ سَوْفَ تُصْبِحُ كَالثَّرَى
ضَعَةً بِسَيرِ الدَّهْرِ ذِي النَّكَبَاتِ

٦٠

أَلْيَوْمُ يَوْمُ صِبَايَ فَلأَشْرَبْ بِهِ
كَأْسَ الشَّرَابِ وَأَجْتَنِي لَذَّاتِي
لاتُزْرِ فِيهِ لَئِنْ يَمَرَّ فَقَدْ حَلا
لا غَرْوَ إِنْ يَكُ مَرَّ فَهُوَ حَيَاتِي

٦١

أَحْسُو الْمُدَامَ وَلا أُعَرْبِدُ قَطُّ أَوْ

كَفِّي تُمَدُّ لِمَا عَدَا الْكَاسَاتِ

تَدْرِي لِمَا اخْتَرْتُ الظِّلا؟ كَيْلا أَرَى

يَا صَاحِ مِثْلَكَ مُوْلَعاً فِي ذَاتِي

٦٢

إِنَّ بَدْرِي يَلُوحُ فِي كُلِّ شَكْلِ

حَيَوَاناً طَوْراً وَطَوْراً نَبَاتاً

لا تَخَلْهُ يَزُولُ هَيْهَاتَ فَالْمَوْ.

ـ صُوفُ إِنْ يَفْنَ وَصْفُهُ يَبْقَ ذَاتَا

٦٣

يَا عَالِماً بِجَمِيعِ أَسْرَارِ الْوَرَى

وَنَصِيرَهُمْ فِي الْعَجْزِ وَالْكُرُبَاتِ

كُنْ قَابِلاً عُذْرِي إِلَيكَ وَتَوْبَتِي

يَا قَابِلَ الأَعْذَارِ وَالتَّوْبَاتِ

حرف الجيم

٦٤

يَا زُبْدَةَ الْخِلاَّنِ خُذْ نُصْحِي وَلاَ
تُصْبِحْ مِنَ الدُّنْيَا بِهَمٍّ مُزْعِجِ
وَاجْلُسْ بِزَاوِيَةِ اعْتِزَالِكَ وَانْظُرَنْ
أَلْعَابَ دَهْرِكَ نَظْرَةَ الْمُتَفَرِّجِ

٦٥

قُمْ قَبْلَ غَارَةِ الأَسَى مُكِّراً
وَادْعُ بِهَا وَرْدِيَّة تَجْلُو الدُّجَى
فَلَسْتَ يَا هَذَا الْغَبِيّ عَسْجَداً
حَتَّى تُوَارَى فِي الثَّرَى وَتُخْرَجَا

حرف الحاء

٦٦

إِنَّ ذَاكَ الْقَصْرَ الَّذِي ضَمَّ جَمْشِيـ
ـدَ وَفِيهِ تَنَاوَلَ الأَقْدَاحَا
وَلَدَتْ ظَبْيَةُ الْفَلا خِشْفَهَا فِيـ
ـهِ وَأَمْسَى إِلَى ابْنِ آوَى مَرَاحَا

يَا لَبَهْرَامَ كَيْفَ كَانَ يَصِيدُ الْـ

وَحْشَ مِنْ قَبْلُ غُدْوَةً وَرَوَاحَا

فَانْظُرِ الآنَ كَيْفَ قَدْ صَادَهُ الْقَبْـ

ـرُ وَأَمْسَى لا يَسْتَطِيعُ بَرَاحَا

٦٧

نَحْنُ يَا مُفْتِيَ الْوَرَى مِنْكَ أَدْرَى

لَمْ تُزِلْ عَقْلَنَا مَدَى السُّكْرِ رَاحُ

أَنْتَ تَحْسُو دَمَ الأَنَامِ وَنَحْسُو

دَمَ كَرْمٍ فَأَيُّنَا السَّفَاحُ

٦٨

إِلَى مَ تُعَانِي لِلْمُقَدَّرِ مِحْنَةً

وَمِنْ بَاطِلِ الأَفْكَارِ تُمْسِي بِأَتْرَاحِ

فَعِشْ فِي سُرُورً وَاقْضِ دَهْرَكَ بِالْهَنَا

فَلَمْ يَكِلُوا أَمْرَ الْقَضَا لَكَ يَا صَاحِ

٦٩

نَعَمْ أَنَا مِنْ رَاحِ الْمَجُوْسِ بِنَشْوَةٍ
وَصَبٌّ خَلِيْعٌ لَمْ أَزَلْ مُدْمِنَ الرَّاحِ
يَرَى كُلُّ حِزْبٍ فِيَّ رَأْياً وَمَذْهَباً
وَإِنِّي لِنَفْسِي كَيْفَمَا كُنْتُ يَا صَاحِ

٧٠

دَعَى لِلصَّبُوْحِ مَلِيكُ النَّهَارِ
وَلاَحَ سَنَا الْفَجْرِ فَوْقَ السُّطُوْحِ
وَنَادَى مُنَادِي الأُلَى بَكَّرُوا
أَلا فَاشْرَبُوا آنَ وَقْتُ الَصَّبُوْحِ

٧١

أَلْفَجْرُ لاَحَ فَقُمْ لَنَا يَا صَاحِ
وَامْلأْ زُجَاجَكَ مِنْ عَقِيقِ الرَّاحِ
فَزَمَانُ أُنْسِكَ إِنْ يَفُتْ لَمْ تَلْقَهُ
وَتَظَلُّ تَنْشُدُ سَاعَةَ الأَفْرَاحِ

٧٢

لاَ تَغْرِسَنَّ الْحَشَا غَرْسَ التَّرَحْ
وَاقْرَأْ حَيِيْتَ دَائِماً سِفْرَ الْفَرَحْ
وَعَاقِرِ الرَّاحَ وَنَلْ أَقْصَى الْمُنَى
فَالْعُمْرُ مَا أَقْصَرَهُ كَمَا اتَّضَحْ

٧٣

بَادِرْ فَسَوْفَ تَعُوْدُ أَدْرَاجَ الْفَنَا
وَسَتَتْرُكُ الْجُثْمَانَ مِنْكَ الرُّوْحُ
وَاشْرَبْ وَعِشْ جَذِلاً فَلَسْتَ بِعَالِمٍ
مِنْ أَيْنَ جِئْتَ وَأَيْنَ بَعْدُ تَرُوْحُ

٧٤

لِلصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ مِلْتُ تَنَسُّكاً
فَتَيَقَّنَتْ نَفْسِي غَداً بِنَجَاحِي
أَسَفاً فَقَدْ نُقِدَ الْوُضُوءُ بِنَسْمَةٍ
وَالصَّوْمُ زَالَ بِنِصْفِ جُرْعَةِ رَاحِ

٧٥

إِشْرَبِ الرَّاحَ فَهِيَ رُوْحُ الرُّوْحِ

بَلْسَمُ النَّفْسِ وَالْحَشَا الْمَجْرُوْحِ

وَإِذَا مَا دَهَاكَ طُوْفَانُ هَمٍّ

فَانْجُ فِيْهَا فَذِي سَفِينَةُ نُوْحِ

حرف الخاء

٧٦

إِذَا العُمْرُ يَمْضِي فَلْيَرُقْ لِيَ أَوْ يَسُؤ

وَسَيَّانِ إِنْ أَهْلِكَ بِبَغْدَادَ أَوْ بَلْخِ

فَقُمْ وَاحْسُهَا فَالشَّهْرُ كَمْ بَعْدَ سَلْخِهِ

إِلَى غُرَّةٍ يَمْضِي وَمِنْهَا إِلَى سَلْخِ

حرف الدال

٧٧

لاَ يُوْرِثُ الدَّهْرُ إِلاَّ الْهَمَّ وَالْكَمَدَا

وَالْيَوْمَ إِنْ يُعْطِ شَيْئاً يَسْتَلِبْهُ غَدَا

مَنْ لَمْ يَجِيْئُوا لِهَذَا الدَّهْرِ لَوْ عَلِمُوا

مَاذَا نُكَابِدُ مِنْهُ مَا أَتَوْا أَبَدَا

٧٨

إِنْ لَمْ يَكُنْ حَظُّ الْفَتَى فِي دَهْرِهِ

إِلاَّ الرَّدَى وَمَرَارَةَ الْعَيْشِ الرَّدِي

سَعِدَ الَّذِي لَمْ يَحْيَى فِيْهِ لَحْظَةَ

حَقاً وَأَسْعَدُ مِنْهُ مَنْ لَمْ يُوْلَدِ

٧٩

لَثِمْتُ مِنْ جَرَّةِ الصَّهْبَاءِ مَرْشَفَهَا

حِرْصاً لأَسْأَلَ مِنْهَا عِيشَةَ الأَبَدِ

فَقَابَلَتْ شَفَتِي بِالْلَّثْمِ قَائِلَةً

سِراً أَلاَ اشْرَبْ فَإِمَّا رُحْتَ لَمْ تَعدِ

٨٠

أَتْرِعْ كُئوسَكَ فَالصَّبَاحُ قَدِ انْجَلَى

رَاحَا لَهَا يَغْدُو الْعَقِيقُ حَسُودَا

وَهَلُمَّ بِالْعُودَيْنِ وَاكْتَمِلِ الْهَنَا

وَقِّعْ عَلَى عُوْدٍ وَأَحْرِقْ عُوْدَا

٨١

إِرْتَشِفْهَا فَذَا لَعَمْرِي الْخُلُودُ

فِيهِ تَمْتَازُ لِلشَّبَابِ عُهُودُ

ذَا أَوَانُ الأَزْهَارِ وَالرَّاحِ وَالصُّحْـ

ـبُ نَشَاوَى فَاهْنَأْ فَهَذَا الْوُجُودُ

٨٢

أَلْعِيدُ جَاءَ فَسَوفَ يُصْلِحُ أَمْرَنَا

وَالرَّاحُ لِلإِبْرِيقِ سَوفَ تَعُودُ

وَيَفُكُّ عَنْ هَذِي الْحَمِيرِ لِجَامَهَا

بِالصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ هَذَا الْعِيْدُ

٨٣

لَيْسَ لِذَا الْعَالَمِ ابْتِدَاءٌ

يَبْدُو وَلاَ غَايَةٌ وَحَدُّ

وَلَمْ أَجِدْ مَنْ يَقُولُ حَقّاً

مِنْ أَيْنَ جِئْنَا وَأَيْنَ نَغْدُو

٨٤

إِنْ لَمْ يُطِقْ أَحَدٌ مِنَّا ضَمَانَ غَدا
فَطِبْ بِذَا الْوَقْتِ نَفْساً وَانْتَعِشْ كَبِدَا
وَاشْرَبْ عَلَى ضَوْءِ ذَا الْبَدْرِ الْمُنِيرِ فَكَم
يُضِيءُ بَعْدُ وَمِنَّا لاَ يَرَى أَحَدَا

٨٥

لَئِنْ جَالَسْتَ مَنْ تَهْوَاهُ عُمْراً
وَذُقْتَ جَمِيْعَ لَذَّاتِ الْوُجُوْدِ
فَسَوْفَ تُفَارِقُ الدُّنْيَا كَأَنَّ
الَّذِي شَاهَدْتَ حُلْمٌ فِي هُجُوْدِ

٨٦

لاَ تَخْشَ حَادِثَةَ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا
لَيْسَتْ بِدَائِمَةٍ عَلَيْنَا سَرْمَدَا
وَاغْنَمْ قَصِيرَ الْعُمْرِ فِي طَرَبٍ وَلاَ
تَحْزَنْ عَلَى أَمْسٍ وَلاَ تَخْشَ الْغَدَا

٨٧

عَادَ السَّحَابُ عَلَى الْخَمَائِلِ بَاكِياً
فَالْعَيْشُ لاَ يَصْفُو بِدُونِ الصَّرْخَدِ
هَذِي الرِّيَاضُ الْيَوْمَ مُنْتَزَهٌ لَنَا
فَلِمَنْ رِيَاضُ رُفَاتِنَا هِيَ فِي غَدِ

٨٨

أَرَى أُنَاساً عَلَى الْغَبْرَاءِ قَدْ هَجَدُوا
وَمَعْشَراً تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى رَقَدُوا
وَإِنْ نَظَرْتُ لِصَحْرَاءِ الْفَنَاءِ أَرَى
قَوْماً تَوَلَّوْا وَقَوْماً بَعْدُ لَمْ يَرِدُوا

٨٩

إِجْلِسْ إِلَى الرَّاحِ تَبْلُغْ مُلْكَ مَحْمُوْدِ
وَأَصْغِ لِلْعُوْدِ تَسْمَعْ لَحْنَ دَاوُدِ
دَعْ ذِكْرَ مَا لَمْ يَجِيءْ أَوْ مَا أَتَى وَمَضَى
وَالآنَ فَاهْنَأْ فَهَذَا خَيْرُ مَقْصُوْدِ

٩٠

إِنَّ الأُلَى بَلَغُوا الْكَمَالَ وَأَصْبَحُوا
مَا بَيْنَ صَحْبِهِمُ سِرَاجَ النَّادِي
لَمْ يَكْشِفُوا حَلَكَ الدَّيَاجِي بَلْ حَكَوا
أُسْطُوْرَةً ثُمَّ انْثَنَوْا لِرُقَادِ

٩١

لَئِنْ سَقَانِي فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ رَشاً
فِي الرَّوْضِ كَأْساً دِهَاقاً تُنْعِشُ الْكَبِدَا
وَإِنْ يَكُن لَمْ يَرُقْ هَذَا الْمَقَالُ فَتي
فَالْكَلْبُ يَفْضُلُنِي إِنْ أَذْكُرِ الْخُلُدَا

٩٢

يَا رَبِّ إِنَّكَ ذُو لُطْفٍ وَذُو كَرَمٍ
فَفِيمَ لاَ يَدْخُلَنَّ الْمُذْنِبُ الْخُلُدَا
مَا الْجُودُ إِعْطَاءُ دَارِ الْخُلْدِ مُتَّقِياً
إِنَّ الْعَطَاءَ لأَصْحَابِ الذُّنُوبِ نَدَى

٩٣

بِجَمِيلِ الآمَالِ أَفْنَيْتُ عُمْرِي

دُونَ أَنْ أَبْلُغَنَّ يَوْماً مُرَادَا

أَنَا أَخْشَى أَنْ لاَ يُسَاعِدَنِي الْعُمْـ

ـرُ لأَشْفِي مِنَ الزَّمَانِ الْفُؤَادَا

٩٤

يَبُثُّكَ عَقْلٌ لِلسَّعَادَةِ طَالِبٌ

مَدَى كُلّ يَومٍ نُصْحَهُ وَيُرَدِّدُ

أَلاَ اغْنَمْ قَصِيرَ الْعُمْرِ لَسْتَ بِنَبْتَة

تَعُودُ فَتَنْمُو بَعْدَ مَا هِي تُحْصَدُ

٩٥

أَلاَ إِنَّ مَنْ زَانُوا الْوُجُودَ بِخَلْقِهِمْ

أَتَوْا وَتَوَلَّوْا ثُمَّ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدُ

فَكَمْ فِي السَّمَا وَالأَرْضِ خَلْقٌ وَأَنْفُسٌ

تَجِيءُ لِهَذَا الْكَوْنِ مَا بَقِيَ الْفَرْدُ

٩٦

دَعْ ذِكْرَ أَمْسٍ فَهُوَ قَدْ مَرَّ وَدَعْ

ذِكْرَ غَدٍ فَإِنَّهُ مَا وَرَدَا

لاَ تُعْنَ فِيمَا لَمْ يَرِدْ وَمَا مَضَى

وَاشْرَبْ لِئَلاَّ يَذْهَبَ الْعُمْرُ سُدَى

٩٧

لَسْتُ لِدَيْرٍ صَالِحاً كَلاَّ وَلاَ لِمَسْجِدِ

اللَّهُ أَدْرَى بِثَرىً كَوَّنَ مِنْهُ جَسَدِي

لاَ دِينَ أَوْ دُنْيَا وَلاَ أَرْجُو الْجِنَانَ فِي غَدٍ

كَمُوْمِسٍ دَمِيمَةٍ أَوْ كَفَقِيرٍ مُلْحِدِ

٩٨

لِهَلاَكِنَا تَجْرِي السَّمَاءُ وَمَا لَهَا

إِلاَّ اغْتِيَالُ نُفُوسِنَا مِنْ مَقْصَدِ

إِجْلِسْ بِزَاهِي الرَّوْضِ وَارْتَشِفِ الطَّلاَ

فَالرَّوْضُ يَنْبُتُ مِنْ ثَرَانَا فِي غَدِ

٩٩

كَالمَاءِ فِي النَّهْرِ أَوْ كَالرِّيحِ وَسْطَ فَلاَ
الأَمْسُ مِنْ عُمْرِنَا وَلَّى وَلَمْ يَعُدِ
يَوْمَانِ مَا عِشْتُ لاَ أَعْنَى بِأَمْرِهِمَا
يَوْمٌ تَوَلَّى وَيَوْمٌ بَعْدُ لَمْ يَرِدِ

١٠٠

إِنَّ ذَاكَ الْقَصْرَ الَّذِي زَاحَمَ الْـ
أُفُقَ وَخَرَّتْ لَهُ الْمُلُوكُ سُجُودَا
هَتَفَ الْوِرْقُ فِي ذُرَاهُ يُنَادِي
أَيْنَ مَنْ صَيَّرُوا الْمُلُوكَ عَبِيدَا

١٠١

أُقْطُفْ وَعَاقِرْ كَأْسَهَا مَعَ شَادِنٍ
كَالسَّرْوِ قَداً وَالزُّهُورِ خُدُودَا
فَسَيَغْتَدِي كَالْوَرْدِ مِنْ كَفِّ الرَّدَى
ثَوْبُ الْحَيَاةِ مُخَضَّباً مَقْدُودَا

١٠٢

مَا نَفَعَ الدَّهْرَ مَجِيئِي وَلاَ

يَزِيدُهُ شَأْنَاً رَحِيلِي غَدَا

مَا سَمِعَتْ أُذْنَايَ مِنْ قَائِلٍ

مَا نَفْعُ ذَا الْعَيْشِ وَجَدْوَى الرَّدَى؟

١٠٣

سُرُورُ حَشاً يَفُوقُ لَدَيَّ أَجْراً

عَلَى تَعْمِيرِ أَنْحَاءِ الْوُجُودِ

وَجُعْلِ الْحُرِّ بِالإِحْسَانِ عَبْداً

أَرَاهُ يَفُوقُ تَحْرِيرَ الْعَبِيدِ

١٠٤

لِلنَّجْمِ يَعْلُوْ زَفِيرِي كُلَّ دَاجِيَةٍ

وَسَيْلُ دَمْعِي يَمُدُّ الْبَحْرَ فِي مَدَدِ

قَدْ قُلْتَ لِي سَوْفَ نَحْسُو الرَّاحَ بَعْدَ غَدٍ

لَعَلَّ عُمُرِيَ لاَ يَمْتَدُّ بِي لِغَدِ

١٠٥

خَلِّ الْهَنَاءَ فَعُمْرُنَا نَفَسٌ وَمِنْ

جَمْشِيدَ ذَرَّاتُ الثَّرَى وَقُبَادِ

لَيْسَ الْوُجُودُ وَعُمْرُنَا الْفَانِي سِوَى

وَهْمٍ وَتَضْلِيلٍ وَحُلْمِ رُقَادِ

١٠٦

قَالَ شَيْخٌ لِمُومِسٍ " أَنْتِ سَكْرَى"

كُلَّ آنٍ بِصَاحِبٍ لَكِ وَجْدُ

فَأَجَابَتْ "إِنِّي كَمَا قُلْتَ" لَكِنْ

أَنْتَ كَمَا لَدَى النَّاسِ تَبْدُو؟

١٠٧

دَعْ كُلَّ قَلْبٍ لَمْ يُمَازِجْهُ الْهَوَى

أَحَوَاهُ دَيْرٌ أَمْ حَوَاهُ مَسْجِدُ

وَبِدَفْتَرِ الْعُشَّاقِ مَنْ خُطَّ اسْمُهُ

لَمْ يَعْنِهِ خُلْدٌ وَنَارٌ تُوقَدُ

١٠٨

يَا صَاحِبَ الدَّلِّ هَذَا الْفَجْرُ لاَحَ فَقُمْ

وَغَنِّ وَاشْرَبْ وأَطْفِئْ حُرْقَةَ الْكَبِدِ

فَمَنْ تَرَاهُمْ هُنَا لَنْ يَلْبَثُوا أَمَداً

وَلَنْ يَعُودَ مِنَ الْمَاضِينَ مِنْ أَحَدِ

١٠٩

الْمَالُ إِنْ لَمْ يَعُدْ ذُخْرَ أُوَّلِيّ النُّهَى

فَالْفَاقِدُونَ لَهُ بِعَيْشٍ أَنْكَدِ

أَضْحَى الْبَنَفْسَجُ مُطْرِقاً مِنْ فَقْرِهِ

وَالْوَرْدُ يَضْحَكُ لِاقْتِنَاءِ الْعَسْجَدِ

١١٠

كَانَ هَذَا الْكُوْزَ مِثْلِي عَاشِقاً

وَالِهاً فِي صِدْغِ ظَبْيٍ أَغْيَدِ

وَأَرَى عُرْوَتَهُ كَانَتْ يَداً

طَوَّقَتْ جِيدَ حَبِيبٍ أَجْيَدِ

١١١

تُسَائِلُنِي مَا هَذِهِ النَّفْسُ إِنْ أَقُلْ
حَقِيقَتَهَا يَضْفُو الْكَلامُ وَيَمْتَدُّ
هِيَ النَّفْسُ مِنْ بَحْرٍ بَدَتْ ثُمَّ إِنَّهَا
تَغِيبُ بِذَاكَ الْبَحْرِ يَا صَاحِ مِنْ بَعْدُ

١١٢

قَضَيْنَا وَلَمَّا نَقْضِ وَا أَسَفِي الْمُنَى
وَمِنْجَلُ ذِي الزَّرْقَاءِ لَجَّ بِنَا حَصَدَا
فَلَهْفَاهُ مَا كِدْنَا لِنَفْتَحَ طَرْفَنَا
إِلَى أَنْ فَنِينَا دُوْنَ أَنْ نُدْرِكَ الْقَصْدَا

١١٣

أَيَا خَزَّافُ إِنْ تَشْعُرْ فَحَاذِرْ
إِلَى مَ تُهِينُ أَنْتَ تَرَى الْعِبَادِ
سَحَقْتَ بَنَانَ إِفْرِيدُونَ ظُلْماً
وَدُسْتَ الْكَفَّ مِنْ كِسْرَى قُبَادِ

١١٤

إِلَيْكَ نُصْحِي إِذَا مَا كُنْتَ مُسْتَمِعاً
لاَ تَلْبِسَنْ ثَوْبَ تَدْلِيسٍ عَلَى الْجَسَدِ
الْعُمْرُ يَفْنَى وَعُقْبَى الْمَرْءِ دَائِمَةٌ
فَلاَ تَبِيعَنْ بِفَانٍ عِيشَةَ الأَبَدِ

١١٥

قَدْ قِيلَ لِي رَمَضَانُ جَاءَ فَسَوْفَ لاَ
تَسْطِيعُ رَشْفاً لِابْنَةِ الْعُنْقُودِ
فَسَأَحْتَسِي بِخِتَامِ شَعْبَانَ الظِّلاَ
عَلاًّ لِتَصْرَعَنِي لِيَوْمِ الْعِيدِ

١١٦

خُذْ بِالسُّرُورِ فَكَمْ بِفِكْرِكَ فَكَّرُوا
بِالأَمْسِ دُونَ بُلُوغِ أَدْنَى مَقْصَدِ
وَانْعَمْ فَإِنَّهُمُ بِأَمْسٍ قَرَّرُوا
لَكَ دُونَ أَنْ تَدْعُوهُمُ أَمْر الْغَدِ

١١٧

يَا مَنْ تَوَلَّدَ مِنْ سَبْعٍ وَأَرْبَعَةٍ [1]

وَرَاحَ مِنْهَا يُعَانِي سَعْيَ مُجْتَهِدِ

إِشْرَبْ فَكَمْ لَكَ قَدْ كَرَّرْتُ مَوْعِظَتِي

إِنْ رُحْتَ رُحْتَ وَلَمْ تَرْجِعْ وَلَم تَعُدِ

١١٨

لاَ عَيشَ لِي بِسِوَى صَافِي الْمُدَامِ وَلاَ

أُطِيقُ حَمْلاً بِدُونِ الرَّاحِ لِلْجَسَدِ

مَا أَطْيَبَ السُّكْرَ وَالسَّاقِي يُنَاوِلُنِي

كَأْساً وَتَعْجَزُ عَنْ أَخْذِ الْكُؤُوسِ يَدِي

حرف الرّاء

١١٩

مَا لِلْبَقَا هَادٍ وَإِنْ يَكُ فَالظِّلاَ

وَالْكَأْسُ أَفْضَلِ مُرْشِدِ الْمُتَحَيِّرِ

الرَّاحُ مُؤْنِسَتِي فَلَيْسَ بِمُسْعِدِي

مَاءُ الْحَيَاةِ وَلاَ حِيَاضُ الْكَوْثَرِ

(١) المقصود من السَّبْع: الأفلاك السبعة، ومن الأرْبَع: العناصر الأربعة

١٢٠

خُذِ الْكُوزَ وَالأَقْدَاحَ يَا مُنْيَةَ الْحَشَا
وَطُفْ بِهِمَا بِالرَّوْضِ فِي ضِفَّةِ النَّهْرِ
فَكَمْ قَدَّ هَذَا الدَّهْرُ مِنْ قَدِّ شَادِنٍ
كُئوساً وَإِبْرِيقاً لِصَافِيَةِ الْخَمْرِ

١٢١

وَلَكَمْ شَرِبْتُ الرَّاحَ حَتَّى إنْ أَغِبْ
فِي الرَّمْسِ ضَاعَ مِنَ التُّرَابِ عَبِيْرُهَا
أَوْ مَرَّ مَخْمُورٌ عَلَى قَبْرِي انْتَشَا
مِنْهَا وَأَفْقَدَهُ النُّهَى تَأْثِيرُهَا

١٢٢

عَلاَمَ تَأْسَى لِلذَّنْبِ يَا عُمَرُ
مَاذَا تُفِيدُ الْهُمُومُ وَالْفِكَرُ
لاَ عَفْوَ عَمَّنْ لَمْ يَجْنِ مَعْصِيَةً
الْعَفْوُ عَمَّنْ عَصَى فَمَا الْحَذَرُ

١٢٣

إِلَى مَ بِهَذَا الْحِرْصِ تَقْضِي مَدَى الْعُمْر
وَتُصْبِحُ لِلإِثْرَاءِ وَالْفَقْرِ فِي فِكْرِ
أَلاَ اشْرَبْ فَعُمْرٌ سَوْفَ يُعْقِبُهُ الرَّدَى
حَقِيقٌ بِأَنْ تَقْضِيهِ بِالنَّوْمِ وَالسُّكْرِ

١٢٤

مُذِ ازْدهَرَتْ بِالْبَدْرِ وَالزُّهْرَةِ السَّمَا
إِلَى الآنَ لَمْ يُوْجَدْ أَلَذُّ مِنَ الْخَمْرِ
فَيَا عَجَبِي مِنْ بَائِعِ الرَّاحِ هَلْ يَرَى
أَعَزَّ مِنَ الصَّهْبَاءِ إِنْ بَاعَهَا يَشْرِي

١٢٥

إِنَّ دِينِي الْهَنَا وَرَشْفُ الْحُمَيَّا
وَابْتِعَادِي عَنْ كُلِّ دِينٍ وَكُفْرِ
قُلْتُ مَاذَا يَكُوْنُ مَهْرُ عَرُوْسِ الدَّـ
ـ هْرِ قَالَتْ جَذْلاَنُ قَلْبِكَ مَهْرِي

١٢٦

كَانَ يَبْدُو قَبْلِي وَقَبْلَكَ صُبْحٌ
وَدُجىً وَالسَّمَا تَدُورُ لأَمْرِ
طَأْ بِرِفْقٍ هَذَا التُّرَابَ فَقِدْمَا
كَانَ إِنْسَانَ عَيْنِ ظَبْيٍ أَغَرِّ

١٢٧

إِنْ كُنْتُ قَبْلُ أَتَيْتُ الدُّنيا بِدُوْنِ اخْتِيَار
وَسَوْفَ أَرْحَلُ حَتْماً عَنْهَا غَداً بِاضْطِرَارِ
فَقُمْ نَدِيمِي سَرِيعاً وَاعْقِدْ نِطَاقَ الإِزَارِ
فَسَوْفَ أَغْسِلُ هَمَّ الدُّنْيَا بِصَافِي الْعُقَارِ

١٢٨

عِشْ وَالْمُدَامَ بِضَفَّةِ النَّهْرِ
وَدَعِ الْهُمُومَ بِجَانِبٍ تَجْرِي
يَوْمَانِ ذَا الْعُمْرُ الثَّمِينُ فَعِشْ
طَلْقَ الْمُحَيَّا بَاسِمَ الثَّغْرِ

١٢٩

شَاهَدْتُ أَلْفَي جَرَّةٍ فِي مَعْمَلٍ
تَدْعُو وَلَمْ تَفْتَحْ بِنُطْقٍ فَاهَا
فَإِذَا بِإِحْدَاهَا تُنَادِي أَيْنَ مَنْ
صَنَعَ الْجِرَارَ وَبَاعَهَا وَشَرَاهَا

١٣٠

كَقَطْرَةٍ عَادَتْ إِلَى الْخِضَمِّ أَوْ
كَذَرَّةٍ قَدْ رَجَعَتْ إِلَى الثَّرَى
أَتَيْتَ لِلدُّنْيَا وَعُدْتَ حَاكِياً
ذُبَابَةً بَدَتْ وَغَابَتْ أَثَرَا

١٣١

لَئِنْ عُمِّرْتَ صَاحِي أَلْفَ حَوْلٍ
فَسَوْفَ تَعَافُ هَذِي الدَّارَ قَهْراً
وَإِنْ تَكُ سَائِلاً أَوْ رَبَّ تَاجٍ
فَذَانِ غَداً سَيَسْتَوِيَانِ قَدْرَا

١٣٢

سَعَى لِقُصُوْرِ الْخُلْدِ وَالْحُوْرِ مَعْشَرٌ
وَإِنَّ فَرِيقاً بِالْجُزَافِ قَدِ اغْتَرَّا
سَيَبْدُو لَهُمْ إِنْ يَنْجَلِ السِّتْرُ أَنَّهُمُ
نَأَوا عَنْكَ أَقْصَى النَّأْيِ فِي ذَلِكَ الْمَسْرَى

١٣٣

كُلُّ عُشْبٍ يَبْدُو بِضِفَّةِ نَهْرِ
قَدْ نَمَا مِنْ شِفَاهِ ظَبْيٍ أَغَرِّ
لاَ تَطَأْ وَيْحَكَ النَّبَاتَ احْتِقَاراً
فَهُوَ نَامٍ مِنْ مُزْهِرِ الْخَدِّ نَضْرِ

١٣٤

مَا بَيْنَ أُفْقٍ لاَ ظُهُوْرَ لِغَورِهِ
إِشْرَبْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَجَّ بِجَورِهِ
وَاجْرَعْ بِدَوْرِكَ صَابِراً كَأْسَ الرَّدَى
فَالْكُلُّ سَوْفَ يَذُوْقُهَا فِي دَوْرِهِ

١٣٥

لأَرْتَشِفُ الْمُدَامَةَ أَيَّ وَقْتٍ
وَإِنْ يَكُ أَشْرَفَ الأَوْقَاتِ قَدْرَا
مَلأْتُ الدِّنَّ مِنْ عِنَبٍ حَلاَلٍ
فَقُلْ لِلَّهِ لاَ يَجْعَلْهُ خَمْرَا

١٣٦

أَيَا فَلَكاً يَجْرِي بِبُؤْسِيَ خَلِّنِي
فَلَسْتُ حَرِيّاً أَنْ تَسُوْمَنِي الأَسْرَا
إِذَا كُنْتَ تَهْوَى غَيْرَ حُرٍّ وَعَاقِلٍ
فَلَسْتُ كَمَا قَدْ خِلْتَنِي الْعَاقِلَ الْحُرَّا

١٣٧

أَلاَ لَيْتَ الثَّوَاءَ يَكُوْنُ أَوْ أَنْ
يَكُوْنَ لَنَا انْتِهَاءٌ فِي الْمَسِيرِ
وَلَيْتَ لَنَا وَإِنْ سَلَفَتْ قُرُوْنٌ
رَجَاءً أَنْ سَنَنْبُتَ كَالزُّهُوْرِ

١٣٨

رَأَيْتُ فِي حَانَةٍ شَيْخاً فَقُلْتُ لَهُ:

" أَلاَ تُخَبِّرُنَا عَمَّنْ مَضَوا خَبَرَا"

قَالَ: "ارْتَشِفْهَا فَكَمْ أَمْثَالُنَا رَحَلُوا

وَلَمْ يَعُودُوا وَلَمْ نَشْهَدْ لَهُمْ أَثَرَا"

١٣٩

مَرَرْتُ بِمَعْمَلِ الْخَزّافِ يَوْماً

وَكَانَ يَجِدُّ فِي الْعَمَلِ الْخَطِيرِ

وَيَصْنَعُ لِلْجِرَارِ عُرىً ثَرَاهَا

يَدُ الشَّحَّاذِ أَوْ رَأْسُ الأَمِيرِ

١٤٠

عَاطِنِي الرَّاحَ فَهْيَ قُوْتٌ لِنَفْسِي

وَاسْقِنِيهَا وَإِنْ تَزِدْ فِي خُمَارِي

إِنَّ هَذِي الدُّنْيَا أَسَاطِيرُ وَهْمٍ

وَخَيَالٍ وَالْعُمْرُ كَالرِّيحِ سَارِي

١٤١

رَأَيْتُ فِي السُّوْقِ خَزَّافاً غَدَا دَئِباً
يَدُوْسُ فِي الطِّيْنِ رَكْلاً غَيْرَ ذِي حَذَرِ
وَالطِّيْنُ يَدْعُوْ لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُ أَلاَ
قَدْ كُنْتُ مِثْلَكَ فَارْفِقْ بِي وَلاَ تَجُرِ

١٤٢

قِيْلَ خُلْدٌ غَداً وَحُوْرٌ وَكَوْثَرْ
أَنْهُرٌ مِنْ طِلاً وَشَهْدٍ وَسُكَّرْ
فَعَلَى ذِكْرِهَا أَدِرْ لِيَ كَأْساً
إِنَّ نَقْداً مِنْ أَلْفِ دَيْنٍ لأَجْدَرْ

١٤٣

يَقُوْلُونَ حُوْرٌ فِي الْغَدَاةِ وَجَنَّةٌ
وَثَمَّةَ أَنْهَارٌ مِنَ الشَّهْدِ وَالْخَمْرِ
إِذَا اخْتَرْتُ حَوْرَاءً هُنَا وَمُدَامَةً
فَمَا البَأْسُ فِي ذَا وَهُوَ عَاقِبَةُ الأَمْرِ

١٤٤

كَمْ فِتْنَةٍ قِدْماً أَثَارَ مِنَ الثَّرَى
إِذْ كَوَّنَ الْبَارِي ثَرَايَ وَصَوَّرَا
أَنَا لاَ أُطِيقُ تَرَقِيَا عَمَّا أَنَا
فِيهِ فَطِينِي أَفْرَغُوْهُ كَمَا تَرَى

١٤٥

فِيْمَ وَرَوْضُ سَعْدِكَ الْيَوْمَ زَهَى
كَفُّكَ مِنْ كَأْسِ الْمُدَامِ تُصْفِرُ
إِشْرَبْ فَهَذَا الدَّهْرُ خَصْمٌ غَادِرٌ
وَنَيْلُ مِثْلِ الْيَوْمِ سَوْفَ يَعْسُرُ

١٤٦

هَاتِ ذَؤُبَ الْعَقِيقِ وَسَطَ زُجَاجٍ
هَاتِ خَيْرَ الْجَلِيسِ لِلأَحْرَارِ
إِنَّمَا عَالَمُ التُّرَابِ كَرِيحٍ
يَنْقَضِي مُسْرِعاً فَجِئْ بِالْعُقَارِ

١٤٧

مَا تَصْنَعُ الأَفْلاَكُ يَوْماً طِيْنَةً

إِلاَّ وَتَكْسِرُهَا وَتُرْجِعُهَا الثَّرَى

لَوْ كَانَ يَحْتَمِلُ السَّحَابُ ثَرىً غَدَا

لِنُشُوْرِنَا بِدَمِ الأَعِزَّةِ مُمْطِرَا

١٤٨

إِذَا كُنْتَ تَسْعَى فِي الْحَيَاةِ لِمَطْعَمٍ

إِلَى مَشْرَبٍ أَوْ مَلْبَسٍ فَلَكَ الْعُذْرُ

وَفِيمَا عَدَا هَاتِيكَ فَالسَّعْيُ ذَاهِبٌ

هَبَاءً فَحَاذِرْ أَوْ يَضِيعَ بِهِ الْعُمْرُ

١٤٩

غَسَلَ الرَّبِيعُ بِغَيْثِهِ الصَّحْرَاءَ وَالأَـ

ـفْرَاحُ عَادَتْ لِلزَّمَانِ فَأَزْهَرَا

شَرْبَ وَمُخْضَرَّ الْعِذَارِ بِرَوْضَةٍ

لِتَسُرَّ مَنْ مِنْ رَمْسِهِ اخْضَرَّ الثَّرَى

١٥٠

مَتَى اقْتَلَعَتْ كَفُّ الْمَنِيَّةِ دَوْحَتِي
وَعُدْتُ لَدَى أَقْدَامِهَا أَتَعَفَّرُ
فَلاَ تَصْنَعُوا طِينِي سِوَى كُوْزِ قَرْقَفٍ
عَسَى يَمْتَلِي بِالرَّاحِ يَوْماً فَأُنْشَرُ

١٥١

لَمْ يَبْقَ مِنِّي فِي الدُّنْيَا سِوَى رَمَقٍ
وَلَيْسَ فِي الْيَدِ مِنْ صَحْبِي سِوَى الْكَدَرِ
لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ طِلاَ أَمْسِ سِوَى قَدَحٍ
وَلَسْتُ أَعْلَمُ مَا الْبَاقِي مِنَ الْعُمُرِ

١٥٢

حَتَّى مَ ذِكْرُكَ لِلْجِنَانِ أَوْ الْجَحِيمِ الْمُسْعَرَه
وَإِلَى مَتَى سُرُجُ الْمَسَاجِدِ أَوْ بُخُوْرُ الأَدْيِرَهْ
أُنْظُرْ إِلَى لَوْحِ الْقَضَا وَاسْتَجِلْ وَاقْرَأْ أَسْطُرَهْ
فَاللَّهُ قِدْماً كُلَّمَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ قَدَّرَهْ

١٥٣

كُلُّ شَوْكٍ يَدُوْسُهُ حَيَوَانُ
كَانَ صِدْغاً أَوْ حَاجِباً لِغَرِيرِ
وَكَذَا اللِّبْنُ فِي ذُرَى كُلِّ قَصْرٍ
رَأْسُ مَلْكٍ أَوْ إِصْبَعٌ لِوَزِيرِ

١٥٤

لاَ تَغْضَبَنَّ عَلَى النَّشَاوَى وَالْتَزِمْ
حُسْنَ السُّلُوْكِ وَسِيرَةَ الأَخْيَارِ
وَاشْرَبْ فَلَسْتَ بِشُرْبِهَا أَوْ تَرْكِهَا
تَرِدُ الْجِنَانَ وَأَنْتَ طُعْمَةُ نَارِ

١٥٥

أَخَافُ أَنْ لاَ أَعِيشَ بَعْدُ وَلاَ
أُدْرِكَ جَمْعَ الرِّفَاقِ إِنْ حَضَرُوا
فَلْنَغْتَنِمْ لَحْظَةً نَعِيشُ بِهَا
لَعَلَّ مِنْ بَعْدُ يَنْفَدُ الْعُمُرُ

١٥٦

قَالُوا أَلاَ إِنَّ النَّشَاوَى فِي لَظَى

قَوْلٌ لَهُ عَقْلُ الْمُفَكِّرِ مُنْكِرُ

إِنْ كَانَ مَنْ يَهْوَى وَيَسْكَرُ فِي لَظَى

سَتَرَى الْجِنَانَ كَرَاحَةِ الْيَدِ تُصْفِرُ

١٥٧

أَرَانِي مِنَ الصَّهْبَاءِ لَمْ أَصْحُ لَحْظَةً

وَأَثْمَلُ حَتَّى إِنْ تَكُنْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ

أُعَانِقُ دِنّاً أَوْ أُقَبِّلُ أَكْؤُساً

وَكَفِّي بِجِيدِ الْكُوْزِ تَبْقَى إِلَى الْفَجْرِ

١٥٨

وَشَيْخٌ بِنَوْمِ السُّكْرِ مُغْفٍ رَأَيْتُهُ

وَلَمْ تَبْقَ فِيهِ فِطْنَةٌ وَشُعُوْرُ

حَسَاهَا وَأَغْفَى وَهُوَ نَشْوَانُ قَائِلاً

إِلَهِي لَطِيفٌ بِالْعِبَادِ غَفُوْرُ

١٥٩

قَدْ قِيلَ لِي قَلِّلْ تَعَاطِي الْخَمْرِ
بِأَيِّ عُذْرٍ لَمْ تَزَلْ فِي سُكْرِ
نُوْرُ الطِّلاَ عُذْرِي وَخَدُّ السَّاقِي
فَهَلْ تَرَى أَوْضَحَ مِنْ ذَا الْعُذْرِ

١٦٠

إِنَّ أَجْرَامَ ذَا الرَّوَاقِ الْمُعَلَّى
حَيَّرَتْ مِنْ ذَوِي النُّهَى الأَفْكَارَا
إِحْتَفِظْ فِي شَرِيفِ عَقْلِكَ وَأَنْظُرْ
دَوْرَ هَذِي الْمُدَبِّرَاتِ حَيَارَى

١٦١

قُمْ أَيُّهَا الشَّيْخُ اللَّبِيبُ مُسَارِعاً
وَانْظُرْ لِذَاكَ الطِّفْلِ يُذْرِي بِالثَّرَى
فَانْصَحْهُ أَنْ يُذْرِي بِرِفْقِ عَيْنَ بَرْ-
ـ وَيْزٍ وَمُخِّ قُبَادَ سُلْطَانِ الْوَرَى

١٦٢

لَمْ يَهْنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ سِوَى امْرِءٍ
عَرَفَ الْوُجُودَ بِخَيْرِهِ وَبِشَرِّهِ
أَوْ غَافِلٍ عَنْ نَفْسِهِ وَزَمَانِهِ
لَمْ يَدْرِ مَا فِي نَفْسِهِ أَوْ دَهْرِهِ

١٦٣

هَلِ الْجَامُ مَهْمَا تَمَّ صُنْعاً وَدِقَّةً
يَرَى كَسْرَهُ مَنْ كَانَ مُنْتَشِياً سُكْرَا
فَفِيمَ بَرَى الْخَلاَّقُ سَاقاً لَطِيفَةً
وَرَأْساً وَكَفّاً ثُمَّ يَكْسِرُهَا كَسْرَا

١٦٤

لَوْ كَانَ لِي كَاللَّهِ فِي فَلَكٍ يَدٌ
لَمْ أُبْقِ لِلأَفْلاَكِ مِنْ آثَارِ
وَخَلَقْتُ أَفْلاَكاً تَدُورُ مَكَانَهَا
وَتَسِيرُ حَسْبَ مَشِيئَةِ الأَحْرَارِ

١٦٥

مَا أَسْرَعَ مَا يَسِيرُ رَكْبُ الْعُمْرِ
قُمْ فَاغْنَمْ لَحْظَةَ الْهَنَا وَالْبِشْرِ
دَعْ هَمَّ غَدٍ لِمَنْ يَهِمُّوْنَ بِهِ
وَاللَّيْلُ سَيَنْقَضِي فَجِئ بِالْخَمْرِ

١٦٦

قَالُوا دَعِ الرَّاحَ سَتَلْقَى الْبَلاَ
مِنْهَا وَتُلْقَى فِي لَظىً مُسْعَرَهْ
نَعَمْ وَلَكِنْ نَشْوَتِي لَحْظَةً
أَحْلَى مِنَ الدُّنْيَا مَعَ الآخِرَهْ

١٦٧

أَوْجَدْتَنِي يَا رَبِّ مِنْ عَدَمٍ وَلِي
أَسْدَيْتَ فَضْلاً مَا لَهُ مِقْدَارُ
عُذْرِي بِأَنِّي عِنْدَ حُكْمِكَ عَاجِزٌ
مَا دَامَ يَوْماً مِنْ ثَرَايَ غُبَارُ

١٦٨

كَمْ جُبْتُ مِنْ وَادٍ وَسَهْلٍ دُوْنَ أَنْ
أَحْظَى بِتَحْسِينٍ لِبَعْضِ أُمُوْرِي
قَدْ سَرَّنِي أَنَّ الْحَيَاةَ قَدِ انْقَضَتْ
عَنِّي وَإِنْ تَكُ مَا انْقَضَتْ بِسُرُورِ

١٦٩

قَدْ دَاعَبَتْ رِيحُ الصَّبَا الْوَرْدَ وَقَدْ
هَاجَ الْهِزَارَ حُسْنُهُ فَاسْتَبْشَرَا
إِجْلِسْ لَدَى الزَّهْرِ فَكَمْ عَلَى الثَّرَى
تَنَاثَرُ الأَزْهَارُ إِذْ نَحْنُ ثَرَى

وَقد ورد البيت الثاني من الرباعية المذكورة بشكلٍ آخر هذا تعريبه:

إِجْلِسْ بِظِلِّ الزَّهْرِ فَالأَزْهَارُ كَمْ
مِنَ الثَّرَى بَدَتْ وَعَادَتْ لِلثَّرَى

١٧٠

أَلاَ لَيْتَ رَبِّي يَقْلِبَ الْكَونَ بَغْتَةً

وَيُنْشِؤُهُ حَالاً لأَنْظُرَ مَا يَجْرِي

فَإِمَّا يَزِيدُ الرِّزْقُ لِي أَوْ يُمِيتُنِي وَيَمْحُو

إِسْمِيَ الْمَسْطُورَ مِنْ دَفْتَرِ الدَّهْرِ

١٧١

هَاتِ الْمُدَامَ فَفِي الْفُؤَادِ لَوَاعِجٌ

وَالْعُمْرُ مِثْلُ الزِّئْبَقِ الْفَرَّارِ

إِنْهَضْ فَيَقْظَةُ عُمْرِنَا نَوْمٌ وَمَا

نَارُ الصِّبَا إِلاَّ كَمَاءٍ جَارِي

١٧٢

قَالُوا سَيَشْتَدُّ الْحِسَابُ بِنَا غَداً

وَيَضِيقُ صَدْرُ حَبِيبِنَا فِي الْمَحْشَرِ

أَيَكُونُ مِنْ حَسَنٍ سِوَى حَسَنٍ إِذَنْ

حَسُنَتْ عَوَاقِبُنَا فَطِبْ وَاسْتَبْشِرِ

١٧٣

سَأَلْتُكَ هَلْ زَادَتْ بِمُلْكِكَ طَاعَتِي
وَهَلْ أَنْقَصَتْ مِنْهُ خَطاَيَايَ مِنْ قَدْرِ
فَدَعْنِي وَدَعْ نَصْرِي فَطَبْعُكَ بَانَ لِي
سَرِيـعٌ لِخِذْلاَنٍ بَطِيءٌ عَنِ النَّصْرِ

١٧٤

أُسْلُكْ سَبِيلَ بَنِي الْحَانَاتِ وَاسْعَ إِلَى
رَاحٍ وَعُودٍ وَظَبْيٍ يبهج النظرا
فِي الكف كأسٌ وفوقَ المَتْنِ كُوزُ طِلا
إِشْرَبْ حَبِيبِي الْحُمَيَّا وَاتْرُكِ الْهَذَرَا

١٧٥

لَمْ يَنَمُ فِي الصَّحْرَاءِ رَوْضُ شَقَائِقٍ
إلا وكان دماً جرى لأميرِ
وَكَذَاكَ كُلُّ وُرَيْقَةٍ بِبَنَفْسَجٍ
خالٌ بَدا مِنّا بِخَدِّ غَريرِ

١٧٦

إِنْ كُنْتَ تَفْقَهُ يَا هَذَا الْفَقِيهُ فَلِمْ

تلحو فلاسفةً دانو بأفكار

هُمْ يَبْحَثُونَ عَنِ الْبَارِي وَصَنْعَتِهِ

وانْتَ تبْحثُ عن حيضٍ وأقْذارِ

١٧٧

أَتَدْرِي لِمَاذَا يُصْبِحُ الدِّيْكُ صَائِحاً

يُرَدِّدُ لَحْنَ النَّوْحِ فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ

يُنَادِي لَقَدْ مَرَّتْ مِنَ الْعُمْرِ لَيْلَةٌ

وَهَا أَنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَاكَ وَلَمْ تَدْرِي

١٧٨

هَذَا الْفَضَاءُ الَّذِي فِيهِ نَسِيرُ حَكَى

فَانُوسَ سِحْرٍ خَيَالِياً لَدَى النَّظَرِ

مِصْبَاحُهُ الشَّمْسُ وَالْفَانُوسُ عَالَمُنَا

وَنَحْنُ نَبْدُوْ حَيَارَى فِيهِ كَالصُّوَرِ

١٧٩

إِذَا لَمْ أَنَلْ وَرْداً فَحَسْبِيَ شَوْكُهُ

وَإِنْ لَمْ أَنَلْ نُوْراً كَفَتْ عِنْدِيَ النَّارُ

وَإِنْ لَمْ أَكُنْ شَيْخاً بِبُرْدٍ وَتَكْيَةٍ

فَحَسْبِيَ نَاقُوْسٌ وَدَيْرٌ وَزِنَّارُ

١٨٠

دَخَلْتُ فِي الْحَانِ نَشْوَاناً وَكَانَ بِهِ

شَيْخٌ عَلَى مَتْنِهِ كُوْزٌ وَقَدْ سَكِرَا

فَقُلْتُ هَلاَّ مِنَ اللَّهِ اعْتَرَاكَ حَيّاً

قَالَ احْسِهَا فَهْوَ يَعْفُوْ وَاتْرُكِ الْهَذَرَا

حرف الزاي

١٨١

عَنِ الْهَمِّ أَعْرِضْ مَا اسْتَطَعْتَ وَلاَ تَدَعْ

لِمَا مَرَّ أَوْ مَا لَم يَرِدْ فِي الْحَشَا وَخْزَا

وَعِشْ وَارْتَشِفْ وَاهْنَأْ فَلَسْتَ بِآخِذٍ

لِرَمْسِكَ مِنْ فَلْسٍ وَإِنْ تَمْتَلِكْ كَنْزَا

حرف السّين

١٨٢

يَا لِهَذَا الْقَلْبِ الْبَئِيسِ الْمُعَنَّى
لَمْ يُفِقْ مِنْ هَوَى الْحَبِيبِ الْقَاسِي
مُذْ أَدَارُوا سُلاَفَةَ الْحُبِّ قِدْماً
مَلأوا مِنْ دَمِ الْحُشَاشَةِ كَاسِي

١٨٣

حَتَّى مَ أُصْبِحُ فِي هَمٍّ بِأَنِّيَ هَلْ
أَهْنَى وَأَحْزَنُ أَوْ أُثْرِي وَأَبْتَئِسُ
هَاتِ الْمُدَامَ فَإِنِّي لَسْتُ أَعْلَمُ هَلْ
مَتَى زَفَرْتُ لِصَدْرِي يَرْجِعُ النَّفَسُ

١٨٤

الرَّاحُ أَطْيَبُ لِي مِنْ مُلْكِ طُوْسَ وَمِن
سَرِيرِ كِسْرَى وَتَخْتِ الْمَلْكِ قَابُوْسِ
وَإِنَّمَا أَنَّهُ السِّكِّيْرِ فِي سَحَرٍ
خَيرٌ مِنَ الزُّهْدِ وَالتَّقْوَى بِتَدْلِيسِ

١٨٥

رُبَّ طَيرٍ فِي طُوْسَ أَلْقَى لَدَيْهِ
رَأْسَ قَابُوْسَ ذِي الْعُلَى وَالْبَاسِ
وَهُوَ يَدْعُوْهُ أَيُّهَا الرَّأْسُ لَهْفاً
أَيْنَ صَوْتُ الطُّبُوْلِ وَالأَجْرَاسِ

١٨٦

أَلاَ قُمْ لِنَحْسُوهَا وَنُعْمِلَ عُودَنَا
وَنُبْدِلَ حُسْنَ الصِّيتِ بِالْعَارِ وَالرِّجْسِ
وَدَعْنَا نَبِعْ بِالْكَأْسِ سَجَّادَةَ التُّقَى
وَنَكْسِرُ فَوْقَ الصَّخْرِ قَارُورَةَ الْقُدْسِ

١٨٧

إِنْ اشْتَهَرْتَ فَشَرُّ النَّاسُ أَنْتَ وَإِنْ
كُنْتَ انْزَوَيْتَ فَقَدْ عَانَيْتَ وُسْوَاساً
لَوْ كُنْتَ خِضْراً وَإِلْيَاساً سُعِدْتَ بِأَنْ
لاَ تُعْرَفَنَّ وَأَنْ لاَ تَعْرِفَ النَّاسَا

١٨٨

دَعْ كُلَّ مَفْرُوضٍ وَمَنْدُوْبٍ وَمِنْ
قُوْتٍ لَدَيْكَ فَأَطْعِمَنَّ النَّاسَا
لاَ تُؤْذِ خَلْقَ اللّهِ أَوْ تَغْتَبْهُمُ
وَأَنَا الضَّمِينُ غَداً فَهَاتِ الْكَاسَا

١٨٩

يَا خَمْرُ مَا أَحْلاَكِ وَسْطَ زُجَاجَةٍ
تَاللَّهِ أَنْتِ عِقَالُ عَقْلِ الْحَاسِي
لاَ تُمْهِلِينَ مَنِ احْتَسَاكِ هُنَيْهَةً
حَتَّى تُبِينِي كُنْهَهُ لِلنَّاسِ

١٩٠

إِذَا ازْدَانَتِ الدُّنْيَا لَدَيْكَ فَلاَ تَثِقْ
بِمَا لَمْ يَثِقْ فِيهِ لَبِيبُ وَكَيِّسُ
فَمِثْلُكَ كَمْ آتٍ إِلَيْهَا وَذَاهِبٍ
فَقُمْ وَاخْتَلِسْ حَظاً بِهَا فَسَتُخْلَسُ

١٩١

مَرَّتْ لَيَالٍ نَحْنُ لَمْ نُغْمِضْ بِهَا
طَرْفاً وَلَمْ نَتْرُكْ دِهَاقَ الْكَاسِ
قُمْ نَحْسُهَا قَبْلَ الصَّبَاح فَكَمْ لَهُ
نَفَسٌ وَنَحْنُ لَقىً بِلاَ أَنْفَاسِ

١٩٢

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ اسْمٍ مِنَ الْلَّذَاتِ أَوْ
غَيْرُ السُّلاَفَةِ مِنْ جَلِيسٍ كَيِّسِ
لاَ تُلْقِ مِنْ يَدِكَ الْمُدَامَ فَمَا يَقِي
فِي الْكَفِّ هَذَا الْيَوْمَ غَيْرُ الأَكْؤُسُ

حرف الشّين

١٩٣

هاتِ الْمُدَامَ فَمَا الدُّنْيَا سِوَى نَفَسِ
يَكْفِيكَ عَيْشُكَ آناً مِنْهُ مُنْتَعِشَا
إِهْنَأْ بِكُلِّ الَّذِي يَأْتِي الزَّمانُ بِهِ
فَلَيْسَ يَجْرِي كَمَا يَهْوَى امْرُؤٌ وَتَشَا

حرف الصّاد

١٩٤

لَوْ تَسْقِي الطَّوْدَ لاَعْتَرَاهُ الرَّقْصُ
مَنْ يَنْتَقِصِ الرَّاحَ فَفِيهِ النَّقْصُ
حَتَّى مَ تَقُولُ لِي عَنِ الرَّاحِ فَتُبْ
هَذِي رُوْحٌ بِهَا يُرَبَّى الشَّخْصُ

حرف الضّاد

١٩٥

أُنْظُرِ الْعُمْرَ كَيْفَ يَمْضِي حَزِيناً
فَابْتَدِرْهُ فَسَوْفَ يُودِي وَيَقْضِي
مَا رَأَيْتُ الْهَنَاءَ عُمْرِي فَلَهْفِي
لِحَيَاةٍ كَذَا تَمُرُّ وَتَمْضِي

١٩٦

إِذَا مَا أَتَيْنَا خَاشِعِينَ لِمَسْجِدٍ

فَلَمْ نَأْتِ نَقْضِي لِلصَّلاَةِ فُرُوضَهَا

لَكِنْ سَرَقْنَا مِنْهُ سَجَّادَةً وَمُذْ

عَرَاهَا الْبِلَى جِئْنَا لِكَيْ نَسْتَعِيضَهَا

حرف العين

١٩٧

مَا أَهْرَقَ السَّاقِي سُلاَفاً فِي الثَّرَى

إِلاَّ وَأَطْفَأَ نَارَ قَلْبٍ مُوْلَعِ

أَتَظُنُّ رَاحاً ذَلِكَ الْمَاءَ الَّذِي

يُوْدِي بِمَائَةِ عِلَّةٍ فِي الأَضْلُعِ

١٩٨

إِلَهِي وَمُجْرِي كُلِّ حَيٍّ وَمَيِّتٍ

وَرَبَّ السَّمَا ذَاتِ النُّجُومِ السَّوَاطِعِ

لَئِنْ كُنْتُ ذَا سُوْءٍ فَإِنَّكَ سَيِّدِي

وَمَا هُوَ ذَنْبِي إِنْ تَكُنْ أَنْتَ صَانِعِي

١٩٩

الدَّهْرُ مِنْ عُمْرِيَ لَحْظَةٌ وَمَا
جَيْحُونُ إِلاَّ قَطْرَةٌ مِنْ أَدْمُعِي
النَّارُ مِنْ أَحْزَانِنَا شَرَارَةٌ
وَالْخُلْدُ لَحْظَةُ الْهَنَاءِ الْمُسْرِعِ

٢٠٠

كُنْتُ بَازاً فَطِرْتُ مِنْ عَالَمِ السِّـ
ـرِّ لأَغْدُو عَنِ الْحَضِيضِ رَفِيعَا
حَيْثُ إِنِّي لَمْ أَلْقَ لِلسِّرِّ أَهْلاً
عُدْتُ مِنْ حَيْثُ قَدْ أَتَيْتُ سَرِيعَا

٢٠١

إِنْ يَهْوِ كَالْكُرَةِ الْوُجُودُ بِهُوَّةٍ
لَمْ يَعِيبِي وَأَنَا بِسُكْرِيَ هَاجِعُ
بِالأَمْسِ فِي حَانِ الْمُدَامِ رُهِنْتُ وَالْـ
ـخَمَّارُ كَانَ يَقُولُ "رَهْنٌ نَافِعُ"

٢٠٢

ذُ الْلُّبِّ لاَ يُصْبِحُ فِي هَمٍّ عَدِيمِ الْمَنْفَعَةْ

وَيَشْرَبُ الرَّاحَ تِبَاعاً فِي كُؤُوْسٍ مُتْرَعَةْ

أَلْهَمُّ فِي الْقَلْبِ وَفِي الْكُوْزِ الْمُدَامُ مُودَعَةْ

بُؤْساً لِمَنْ عَافَ الطِّلاَ وَاحْتَمَلَ الْهَمَّ مَعَهْ

٢٠٣

إِذَا كَانَ يَجْرِي الدَّهْرُ عَكْسَ مَرَامِنَا

فَهَلْ جِدُّنَا يُجْدِي أَوِ الْفِكْرُ يَنْفَعُ

جَلَسْنَا زَمَاناً حَائِرِينَ لأَنَّنَا

إِلَى الْعَيشِ أَبْطَأْنَا وَلِلْمَوْتِ نُسْرِعُ

حرف الفاء

٢٠٤

نَحْنُ نَبِيعُ التَّخْتَ وَالتَّـ

ـاجَ بِصَوْتِ الْمِعْزَفِ

وَنَشْتَرِي بِسُبْحَةِ الرِّـ

ـيَاءِ كَأْسَ قَرْقَفِ

٢٠٥

مَرَرْتُ أَمْسِ بِخَزَّافٍ يُدَقِّقُ فِي
صُنْعِ الثَّرَى دَائِباً مِنْ دُوْنِ إِنْصَافِ
شَاهَدْتُ إِنْ لَمْ يُشَاهِدْ غَيْرُ ذِي بَصَرٍ
ثَرَى جُدُودِي بِكَفَّي كُلِّ خَزَّافِ

٢٠٦

حُسْنُ الأُمُورِ وَقُبْحُهَا مِنْ نَحْوِنَا
وَمِنَ الْقَضَا فَرَحٌ وَحُزْنٌ مُدْنِفُ
لاَ تَعْزُ لِلأَفْلاَكِ تِلْكَ فَإِنَّهَا
أَوْهَى بِشَرْعِ الْحُبِّ مِنْكَ وَأَضْعَفُ

٢٠٧

مَنْ نَالَ فِي الْيَوْمَينِ جُرْعَةَ مَاءٍ
مِنْ جَرَّةٍ مَكْسُورَةٍ وَرَغِيفَا
لِمَ يَغْتَدِي عَبْداً لِمَنْ هُوَ مِثْلُهُ
أَوْ سَائِماً مَنْ دُونَهُ تَكْلِيفَا!؟

٢٠٨

قُمْ نَصْطَبِحْهَا خَمْرَةً وَرْدِيَّةً
فِي رَنَّةِ الْعُودِ وَصَوْتِ الْمِعْزَفِ
أُصْحُ فَأَيَّامُ التَّرَاوِيحِ انْقَضَتْ
وَالْيَومَ عِيدٌ فَلْنَسِرْ لِلْقَرْقَفِ

٢٠٩

يَا دَهْرُ هَلْ بِالَّذِي تَأْتِيهِ تَعْتَرِفُ
أَلَمْ تَزَلْ بِزَوَايَا الظُّلْمِ تَعْتَكِفُ
تُعْطِي اللَّئِيمَ نَعِيماً وَالْكَرِيمَ عَناً
لاَ شَكَّ إِمَّا حِمَارٌ أَنْتَ أَوْ خَرِفُ

٢١٠

غَداً إِذَا مَا كَانَ يَومُ الْجَزَا
قَدْرُكَ يَغْدُ وَحَسَبَ الْمَعْرِفَهْ
فَنَلْ صِفَاتٍ حَسُنَتْ إِنَّمَا
تُحْشَرُ إِنْ مُتَّ بِشَكْلِ الصِّفَهْ

٢١١

أَلْبَحْثُ فِي الدَّهْرِ لَمْ يُثْمِرْ لَنَا ثَمَراً
فَمَا نَحَاهُ امْرُؤٌ بِالْحِكْمَةِ اتَّصَفَا
كُلُّ امْرِئٍ هَزَّ غُصْناً مِنْهُ مُضْطَرِباً
الْيَوْمُ كَالأَمْسِ وَالآتِي كَمَا سَلَفَا

٢١٢

يَدٌ لِيَ فِي جَامٍ وَأُخْرَى بِمُصْحَفٍ
وَطَوْراً أَنَا الْجَانِي وَطَوْراً أَنَا الْعَفُّ
أَعِيشُ وَمَا لِي تَحْتَ ذَا الأُفْقِ مَبْدَأٌ
فَلاَ مُسْلِمٌ مَحْضٌ وَلاَ كَافِرٌ صِرْفُ

حرف القاف

٢١٣

تَوَضَّأْ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْحَانِ بِالطِّلاَ
فَمَنْ يَفْتَضِحْ شَأْناً فَلاَ يَرْجُ أَنْ يَرْقَى
أَدِرْ لِي الْحُمَيَّا إِنَّ سِتْرَ عَفَافِيَا
قَدِ انْشَقَّ حَتَّى لاَ نُطِيقَ لَهُ رَتْقَا

٢١٤

إِنَّ مَنْ لاَزَمُوا الْمَحَارِيبَ لَيلاً
وَالأُلَى عَاقَرُوا كُؤُوْسَ الرَّحِيقِ
غَرِقَ الْكُلُّ مَا بِهِمْ قَطُّ نَاجٍ
وَغَفَوْا كُلُّهُمْ فَمَا مِنْ مُفِيقِ

٢١٥

هَاتِهَا كَالشَّقِيقِ أَوْ كَالْعَقِيقِ
وَأَسِلْ بِالدِّمَا فَمَ الإِبْرِيقِ
مَا لِيَ الْيَومَ غَيرُ كَأْسِ الْحُمَيَّا
مِنْ صَدِيقٍ صَافِي الضَّمِيرِ رَفِيقِ

٢١٦

لاَ يَرُوقُ الْوُجُودُ مِنْ دُونِ سَاقِي
وَمُدَامٍ وَصَوْتِ نَايٍ عِرَاقِي
لاَ أَرَى الْعَيْشَ مَا تَفَكَّرْتُ فِيهِ
غَيْرَ نَيْلِ السُّرُورِ بَينَ الرِّفَاقِ

٢١٧

مَتَى انْبَلَجَ الصُّبْحُ الْمُشَعْشِعُ فَلْيَكُنْ

بِكَفِّكَ لِلصَّهْبَاءِ جَامٌ مُرَوَّقُ

يَقُولُونَ إِنَّ الرَّاحَ مُرٌّ مَذَاقُهَا

فَقُلْتَ إِذنْ فَالرَّاحُ حَقٌّ مُحَقَّقُ

٢١٨

الدَّهْرُ مَا صَافَى امْرَأً كَلاَّ وَكَمْ

مِنْ عَاشِقٍ أَرْدَى وَمِنْ مَعْشُوقِ

مَنْ مَاتَ لاَ يَحْيَى لَعَمْرُكَ مَرَّةً

أُخْرَى فَبَادِرْ وَاحْسُ جَامَ رَحِيقِ

٢١٩

فَكَّرَتْ فِي الدِّينِ أَقْوَامٌ كَمَّا

حَارَ بَينَ الشَّكِّ وَالْقَطْعِ فَرِيقْ

فَإِذَا الْهَاتِفُ يَدْعُوهُمْ أَيَا

بُلْهُ لاَ هَذَا وَلاَ ذَاكَ الطَّرِيقْ

٢٢٠

زَيَّنْتَ وَجْنَةَ ذَيَّاكَ الْمَلِيحِ لَنَا
يَا رَبِّ فِي سُنْبُلٍ كَالْمِسْكِ ذِي عَبَقِ
وَرُحْتَ تَأْمُرُ أَنْ لاَ تَنْظُرَنَّ لَهُ
كَمَا تَقُولُ "أَمِلْ كَأْساً وَلاَ تُرِقِ"

٢٢١

يَحْلُوْ لَدَى النَّيْرُوزِ فِي الزَّهْرِ النَّدَى
وَيَرُوقُ فِي الرَّوضِ المُحَيَّا الشَّائِقُ
الأَمْسُ مَرَّ فَمَا يَرُوقُ حَدِيثُهُ
فَاهْنأْ وَدَع أَمْساً فَيَومُكَ رَائِقُ

٢٢٢

مَا عِشْتَ أَسْرَ الدَّهْرِ فَاجْهَدْ وَارْتَشِفْ
كَاسَ الطِّلاَ مَا دُمْتَ تَحْمِلُ طَوْقَهُ
إِنْ كَانَ أَوَّلُنَا وآخِرُنَا الثَّرَى
فَاحْسَبْ كَأَنَّكَ فِي الثَّرَى لاَ فَوْقَهُ

٢٢٣

لاَ أَنَا عَالِمٌ وَلاَ أَنْتَ سِرَّ الـ

ـ دَّهْرِ أَوْ حَلَّ مُشْكِلٍ مِنْهُ دَقَّا

نَتَظَنَّى خَلْفَ السِّتَارِ فَإِنْ زَا ـ

ـ لَ فَلاَ أَنْتَ وَلاَ أَنَا ثَمَّ نَتْقَى

٢٢٤

بِكَرِّ الرَّبِيعِ وَمَرِّ الشِّتَاءْ

حَيَاتُكَ تَبْلَى وَأَوْرَاقُهَا

فَلاَ تَأْسَ وَاشْرَبْ فَإِنَّ الْهُمُو ـ

ـ مَ هِيَ السُّمُّ وَالرَّاحُ تِرْيَاقُهَا

٢٢٥

آنَ الصَّبُوحُ هَلُمَّ فَافْتَحْ حَانَنَا

هَذِي ذُكَاءٌ تَهِمُّ بِالإِشْرَاقِ

إِنْ كَانَ يُسْرِعُ لِلْفَنَاءِ زَمَانُنَا

فَهَلُمَّ فِي كَأْسٍ إِلَيَّ دِهَاقِ

٢٢٦

إِنَّ هَذِي الْكَاسَ الظَّرِيفَةَ صُنْعاً
كُسِرَتْ ثُمَّ أُلْقِيَتْ فِي الطَّرِيقِ
لاَ تَطَأْهَا وَيْكَ احْتِقَاراً فَقِدْماً
صَنَعُوْهَا مِنْ كَأْسِ رَأْسٍ سَحِيقِ

٢٢٧

رَاقَ الصَّبَاحُ فَقُمْ أَرِقْ بِزُجَاجَةٍ
بَاقِي سُلاَقَةِ لَيْلِنَا يَا سَاقِي
ثُمَّ اسْقِنِي كَأْساً وَبَادِرْ لَحْظَةً
مِنْ عُمْرِنَا سَتَزُولُ فَالْغَدُ بَاقِي

حرف الكاف

٢٢٨

يَا قَلْبُ إِنْ يَمْنَحْكَ ذَا الدَّهْرُ الأَسَى
وَسَيَفْجَعَنَّكَ بِاغْتِيَالِ حَيَاتِكَا
فَاغْنَمْ بِهَذَا الرَّوْضِ أَوْقَاتَ الْهَنَا
قَبْلَ امْتِزَاجِ نَبَاتِهِ بِرُفَاتِكَا

٢٢٩

لاَ تَدَعِ الْهَمَّ يَعْتَرِيكَ وَلاَ
يَضِقْ بِكَ الْعَيْشُ وَاطَّرِحْ كَمَدَكْ
وَلاَزِمِ الرَّوْضَ وَالْمِيَاهَ وَطِبْ
مَنْ قَبْلِ أَنْ يَعْصُرَ الثَّرَى جَسَدَكْ

٢٣٠

أَلْقَيْتَ فِي كُلِّ مَنْهَجٍ شَرَكًا
وَقُلْتَ مَنْ يَحْظُ خَطْوَةً هَلَكَا
بِالذَّنْبِ أَغْرَيْتَنِي وَتَنْسُبُ لِي
ذَنْباً وَكُلُّ الأَحْكَامِ فِي يَدِكَا

٢٣١

قُمْ وَدَعْ هَمَّ عَالِمٍ سَوْفَ يَفْنَى
وَاغْتَنِم لَحْظَةَ السُّرُورِ لَدَيْكَا
إِنْ يَكُنْ فِي الزَّمَانِ أَدْنَى وَفَاءٍ
لَمْ تَصِلْ نَوْبَةُ الْهَنَاءِ إِلَيْكَا

٢٣٢

كَيْفَ يَحُوْمُ الْقَلْبُ يَوْماً عَلَى
غَيْرِكَ أَوْ يَبْغِي هَوَىً مَعْ هَوَاكْ
إِنَّ دُمُوعِي لَمْ تَدَعْ لَحْظَةً
عَيْنِيَ تَرْنُوْ لِحَبِيبٍ سِوَاكْ

٢٣٣

قُلْتُ سَأَتْرُكُ الشَّرَابَ تَائِباً
فَهُوَ دَمُ الْكَرْمِ وَلَسْتُ أَسْفِكُهْ
قَالَ لِيَ الْعَقْلُ أَجِدّاً قُلْتَ ذَا؟
قُلْتُ لَقَدْ مَازَحْتُ، كَيْفَ أَتْرُكُهْ؟

٢٣٤

يَا مَنْ يُفَكِّرُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ
بِالْعَيْشِ هَلاَّ خِفْتَ يَوْمَ رَدَاكَا
إِرْجِعْ لِنَفْسِكَ وَاصْحُ وَانْظُرْ لَحْظَةً
فِعْلَ الزَّمَانِ وَصُنْعَهُ بِسِوَاكَا

٢٣٥

أَنَا عَبْدُكَ الْعَاصِي فَأَيْنَ رِضَاكَا

وَلَقَدْ دَعَى قَلْبِي فَأَيْنَ سَنَاكَا

إِنْ كُنْتَ تَمْنَحُنَا الْجِنَانَ بِطَاعَةٍ

يَكُ ذَا لَنَا بَيْعاً فَأَيْنَ عَطَاكَا

حرف اللاّم

٢٣٦

أَصْبَحْتُ بِالسُّكْرِ وَالصَّهْبَاءِ مُفْتَتِناً

فَفِيمَ يُكْثِرُ لِي هَذَا الْوَرَى الْعَذَلاَ

يَا لَيْتَ كُلَّ حَرَامٍ مُسْكِرٌ لأَرَى

فِي الْكَوْنِ كُلَّ فَتىً مِنْ ذَنْبِهِ ثَمِلاَ

٢٣٧

عِشْ وَابْنَةَ الْكَرْمِ فِي هَنَاءٍ

وَاشْرَبْ وَدَعْ بَاطِلَ الْخَيَالِ

فَالبِنْتُ مَهْمَا تَكُنْ حَرَاماً

أَطْيَبُ مِنْ أُمِّهَا الْحَلاَلِ

٢٣٨

أَرَى كُلَّ خِلاَّنِ الْوَفَاءِ تَفَرَّقُوا

فَبَيْنَ صَرِيعٍ لِلرَّدَى وَقَتِيلِ

شَرِبْنَا شَرَاباً وَاحِداً غَيْرَ أَنَّهُمْ

بِهِ ثَمِلُوا مِنْ قَبْلِنَا بِقَلِيلِ

٢٣٩

أَيَا قَلْبُ مَا تَدْرِي بِسِرِّ أُوْلِي النُّهَى

وَلَسْتَ لِذَا الرَّمْزِ الدَّقِيقِ تَرَى حَلاَّ

مِنَ الرَّاحِ فَاصْنَعْ هَا هُنَا لَكَ جَنَّةً

فَثَمَّ جِنَانٌ هَلْ تَفُوْزُ بِهَا أَوْ لاَ

٢٤٠

كَسَرْتُ كُوْزاً لِلطِّلاَ عَنْ جَهْلِ

إِذْ كُنْتُ نَشْوَاناً سَلِيبَ الْعَقْلِ

فَرَاحَ يَدْعُوْ بِلِسَانِ الْحَالِ

مِثْلَكَ قَدْ كُنْتُ وَتَغْدُوْ مِثْلِي

٢٤١

لَيسَ يَدْرِي سِرَّ الْوُجُودِ ابْنُ أُنْثَى
وَبِتَكْوِينِهِ تَحَارُ الْعُقُولُ
مَا أَرَى لِلْفَتَى سِوَى الرَّمْسِ مَثْوىً
وَهْوَ لَهْفِي حِكَايَةٌ سَتَطُوْلُ

٢٤٢

إِنْ مُتُّ فَاكْتُمُوا رُفَاتِي وَاجْعَلُوا
آخِرَ أَمْرِي عِظَةً بَيْنَ الْمَلاَ
وَبِالطِّلاَ امْزُجُوا ثَرَايَ وَاصْنَعُوا
مِنْ طِينِهِ غِطَاءَ رَاقُودِ الطِّلاَ

٢٤٣

ذَا يَوْمُكَ رَاقَ وَالْهَوَاءُ اعْتَدَلاَ
وَالرَّوْضُ بِوَاكِفِ الْغُيُوثِ اغْتَسَلاَ
وَالْبُلْبُلُ بِالْبَهَارِ نَادَى جَذِلاَ
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ لأَكْؤُسِ الرَّاحِ جَلاَ

٢٤٤

يَا صَنَمِي قُمْ وأْتِنِي مُعَجِّلاً
وَحُلَّ فِي حُسْنِكَ لِي مَا أَشْكَلاَ
وَهَاتِنِي كُوْزَ الْمُدَامِ قَبْلَ أَنْ
يُصْنَعَ مِنْ رُفَاتِنَا كُوْزُ الطِّلاَ

٢٤٥

خَيَّامُ طِبْ إِنْ نِلْتَ نَشْوَةَ قَرْقَفٍ
وَحَبَاكَ وَرْدِيُّ الْخُدُودِ وِصَالاَ
إِنْ كَانَ عَاقِبَةُ الْوُجُودِ هِيَ الْفَنَا
فَافْرُضْ فَنَاكَ وَعِشْ سَعِيداً بَالاَ

٢٤٦

إِذَا نِلْتَ رِطْلَيْ قَرْقَفٍ فَاحْسُ جَامَهَا
بِكُلِّ اجْتِمَاعٍ رَاقَ أَوْ مَحْفَلٍ حَالِي
فَمَا يَعْتَنِي بَارِي الْوُجُودِ بِشَارِبٍ
لِمِثْلِكَ أَوْ يَهْتَمُّ فِي ذَقْنِ أَمْثَالِي

٢٤٧

دَعِ الْمَاضِي وَمَا سَيَجِيءُ وَانْعَمْ
وَطِبْ نَفْساً بِكَاسَاتِ الشَّمُوْلِ
وَأَنْفُسُنَا مُعَارَاتٌ فَأَطْلِقْ
سَرَاحَ النَّفْسِ مِنْ قَيْدِ الْعُقُوْلِ

٢٤٨

أَخَذْتُ بِدَفْتَرِ الأَيَّامِ فَالاً
فَجَاءَ نِدَاءُ ذِي ذَوْقٍ وَعَقْلِ
سَعِيدٌ مَنْ لَهُ إِلْفٌ كَبَدْرٍ
يُنِيرُ وَلَيْلَةٌ فِي طُوْلِ حَوْلِ

٢٤٩

كُلُّمَا قَدْ رَأَيْتَ فِي الدَّهْرِ وَهْمٌ
وَالَّذِي قُلْتَ أَوْ سَمِعْتَ خَيَالُ
بَاطِلاً قَدْ غَدَوْتَ فِي الأَرْضِ تَعْدُوْ
وَكَذَا الانْزِوَاءُ فِي الدَّارِ آلُ

٢٥٠

أَعِبُّ الظِّلاَ عَمْداً وَمِثْلِي ذُو حِجى
لَهُ يَغْتَدِي عِنْدَ النُّهَى شُرْبُهَا سَهْلاَ
دَرَى اللَّهُ قِدْماً بِارْتِشَافِيَ لِلظِّلاَ
فَإِنْ أَجْتَنِبْهَا يَنْقَلِبْ عِلْمُهُ جَهْلاَ

٢٥١

يَا نَدِيمِي أَدِرْ عَقِيقَ الْحُمَيَّا
وَأَرِحْنِي مِن هَمِّ قِيلٍ وَقَالِ
وَاسْعَ فِي كُوْزِهَا فَسَوْفَ تُسَوِّي
مِنْ ثَرَانَا كُوْزاً أَكُفُّ الْلَّيَالِي

٢٥٢

يَا قَلْبُ هَبْ أَنَّكَ نِلْتَ الأَمَلاَ
وَرَوْضُ أَفْرَاحِكَ بِالنَّبْتِ حَلاَ
فَلَسْتَ فِي رَوْضِ الْهَنَا سِوَى نَدىً
هَوَى لَدَى الْلَّيْلِ وَفِي الصُّبْحِ عَلاَ

٢٥٣

كَمْ ضَرَبْنَا فِي كُلِّ قُطْرٍ وَفَجٍّ
وَادِياً كَانَ أَوْ فَلاَةً وَسَهْلاَ
لَمْ نَجِدْ مَنْ يَقُوْلُ مَنْ عَادَ مِنْ ذَا
كَ الطَّرِيقِ الَّذِي مَضَى فِيهِ قَبْلاَ

٢٥٤

أُنْظُرْ لِسُوْءِ فِعَالِ أَفْلاَكِ السَّمَا
وَانْظُرْ لِدَهْرِكَ مِنْ رِفَاقِكَ خَالِي
مَا اسْطَعْتَ فَاهْنَ الْيَوْمَ لاَ تَنْظُرْ غَداً
أَومَا تَقَضَّى وَانْظُرَنَّ لِلْحَالِ

٢٥٥

أُجِيلُ بِهَذَا الْكَوْنِ طَرْفِي مُدَقِّقاً
وَأُمْعِنُ فِيهِ فِكْرَةً وَتَأَمُّلاَ
فَسُبْحَانَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ نَظَرْتُهُ
رَأَيْتُ بِه يَأْسِي لِعَيْنِي مُمَثَّلاَ

٢٥٦

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِكُلِّ كُفْءٍ عَارِفٍ
أَهْوِي عَلَى قَدَمَيْهِ غَيْرَ مُبَالِ
أَتُرِيدُ مَعْرِفَةَ الْجَحِيمِ بِكُنْهِهَا
إِنَّ الْجَحِيمَ لَصُحْبَةُ الْجُهَّالِ

٢٥٧

بَادِرْ زَمَانَكَ وَاحْسُ الرَّاحَ صَافِيَةً
فَالْعُمْرُ يَوْمَانِ لَنْ نَلْقَاهُ إِنْ كَمُلاَ
تَدْرِي بِدُنْيَاكَ نَحْوَ الْعُدْمِ سَائِرَةً
فَكُنْ نَهَاراً وَلَيْلاً بِالظِّلاَ ثَمِلاَ

٢٥٧

قُمْ هَاتِهَا وَرْدِيَّةً مِسْكِيَّةً
وَدَاوِ مِنْ هَذَا الْفُؤَادِ الْعِلَلاَ
وَإِنْ تَرُمْ مُفَرِّحاً يَجْلُوْ الأَسَى
فَأَحْضِرِ الْعُوْدَ وَيَاقُوْتَ الظِّلاَ

٢٥٩

أَيَا مَنْ أَتَى بِي لِلْوُجُودِ بِقِدْرَةٍ
وَرُبِّيْتُ فِي نَعْمَائِهِ أَتَدَلَّلُ
سَأُمْتَحِنُ الْعِصْيَانَ مَائَةَ حَجَّةٍ
لأَعْلَمَ ذَنْبِي أَمْ سَمَاحُكَ أَجْزَلُ

٢٦٠

إِشْرَبْ فَكَمْ سَتَنَامُ فِي قَعْرِ الثَّرَى
يَا صَاحِ دُوْنَ حَلِيلَةٍ وَخَلِيلِ
لاَ تُفْشِ ذَا السِّرَّ الْخَفِيَّ لَدَى امْرِئٍ
لَنْ تَزْهُوَ الأَزْهَارُ بَعْدَ ذُبُولِ

٢٦١

إِنْ لَمْ يَكُنْ رَبِّيَ قَدْ شَاءَ مَا
شِئْتُ فَهَلْ يُمْكِنُنِي فِعْلُهُ
فَإِنْ يَكُنْ شَاءَ صَوَاباً فَمَا
شِئْتُ سِوَاهُ خَطَاءٌ كُلُّهُ

٢٦٢

أَلْيَوْمَ مَا لَكَ فِي أَمْرِ الْغَدَاةِ يَدٌ

وَلَيْسَ فِكْرُ غَدٍ إِلاَّ مِنَ الْخَبَلِ

فَاغْنَمْ بَقِيَّةَ عُمْرٍ إِنْ تَكُنْ يَقِظاً

فَالْعُمْرُ يَفْنَى بِلاَ بُطْءٍ ولاَ مَهَلِ

٢٦٣

لَمْ تَحْظَ يَا قَلْبِي بِغَيْرِ أَسىً وَمَا

تَنْفَكُّ تَرْزَأُ بُكْرَةً وَأَصِيلاَ

يَا نَفْسُ فِيمَ تَخِذْتِ جِسْمِيَ مَسْكَناً

إِنْ كُنْتِ عَنْهُ سَتُزْمِعِينَ رَحِيلاَ

حرف الميم

٢٦٤

يُدَقِّقُ ذَلِكَ الْخَزَّافُ فِكْراً

بِصُنْعِ الطِّيْنِ تَدْقِيقَ الْفَهِيمِ

إِلاَمَ يَسُوْمُهُ دَوْساً وَلَكْماً

يَخَالُ الطِّينَ غَيْرَ ثَرَى الْجُسُومِ؟

٢٦٥

وُجُودُ ذَا الْكَوْنِ مِنْ بَحْرِ الْخَفَاءِ بَدَا
وَسِرُّهُ لَمْ يَبِنْ يَوْماً لَدَى الأُمَمِ
كُلُّ امْرِئٍ قَالَ وَهْماً عَنْ حَقِيقَتِهِ
وَالْحَقُّ مَا فَاهَ فِيهِ وَاحِدٌ بِفَمِ

٢٦٦

أَزْهَرَ الرَّوْضُ يَا نَدِيمِي فَبَادِرْ
فَسَيَغْدُوْ ثَرىً وَيُمْسِي عَدِيمَا
إِرْتَشِفْ وَاقْتَطِفْ فَسَوْفَ تَرَى الْوَرْ..
..دَ تُرَاباً وَالنَّبْتَ فِيهِ هَشِيمَا

٢٦٧

إِنْ تَشْرَبِ الرَّاحَ فَاشْرَبْ مَعْ ذَوِي أَدَبٍ
أَوْ ذِي جَمَالٍ صَقِيلِ الْخَدِّ مُبْتَسِمِ
وَدَعْ تَعَاطِيَهَا بَيْنَ الْمَلاَ عَلَناً
وَاشْرَبْ خَفَاءً وَلاَ تُكْثِرْ وَلا تُدِمِ

٢٦٨

طَوَى الصُّبْحُ رَايَةَ جَيْشِ الظَّلاَمْ

فَقُمْ يَا نَدِيمِي وَهَاتِ الْمُدَامْ

وَفُكَّ لَنَا نَرْجِسَ الْمُقْلَتَيْنْ

وَقُمْ فَلَسَوْفَ تُطِيلُ الْمَنَامْ

٢٦٩

حَتَّى مَ أَنْتَ أَسِيرٌ لِلَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالشَّمْ

وَمُقْتَفٍ كُلَّ زَيْنٍ وَكُلَّ شَيْنٍ مُدَمَّمْ

فَإِنْ تَكُنْ مَاءَ عَيْنِ الْحَيَاةِ أَوْ بِئْرِ زَمْزَمْ

سَتُودَعُ الرَّمْسَ حَتْمَا لَدَى الْقَضَاءِ الْمُحَتَّمْ

٢٧٠

يَا نَفْسُ لاَ تَرْتَجِي مِنْ دَهْرِكِ الْكَرَمَا

وَلاَ مِنَ الْفَلَكِ الدَّوَّارِ مُغْتَنَمَا

يَزِيدُ دَاؤُكَ إِنْ دَاوَيْتِهِ أَلَمَا

فَأَعْرِضِي عَنْ دَوَاهُ وَأَحْمِلِي السَّقَمَا

٢٧١

سَنَفْنَى وَهَذَا الْكَوْنُ سَوْفَ يَدُوْمُ

وَتَذْهَبُ أَسْمَاءٌ لَنَا وَرُسُوْمُ

كَمَا لَم نَكُنْ وَالْكَوْنُ كَانَ مُنَظَّماً

سَنَفْنَى وَيَبْقَى بَعْدُ وَهْوَ نَظِيمُ

٢٧٢

بَدَا الصُّبْحُ وَانْشَقَّ جَيْبُ الظَّلاَمْ

فَقُمْ وَدَعِ الْهَمَّ وَاحْسُ الْمُدَامْ

فَكَمْ مِنْ صَبَاحٍ سَيَبْدُوْ لَنَا

وَنَحْنُ نِيَامٌ بِبَطْنِ الرُّغَامْ

٢٧٣

خُذْ نَصِباً مِنْ دَوْرِ دَهْرِكَ وَاجْلِسْ

فَوْقَ عَرْشِ السُّرُوْرِ وَاحْسُ الْجَامَا

عَنِيَ اللّٰهُ عَنْ ذُنُوْبٍ وَطَاعَا..

...تٍ فَأَدْرِكْ مِنَ الزَّمَانِ الْمَرَامَا

٢٧٤

عِطَاءُ الدِّنِّ يَعْدِلُ أَلْفَ نَفْسٍ
وَتَعْدِلُ مُلْكَ ذِي الدُّنْيَا الْمُدَامُ
أَرَى مِنْدِيلَ مَسْحِ الرَّاحِ عِنْدِي
لَهُ فَوْقَ الطَّيَالِسَةِ احْتِرَامُ

٢٧٥

حَقِيقَةُ الْكَوْنِ لَيْسَتْ عِنْدَ نَاظِرِ
سِوَى مَجَازٍ فَفِيْمَ الْهَمُّ وَالأَلَمُ
فَجَارِ دَهْرَكَ وَاخْضَعْ لِلْقَضَاءِ فَلَنْ
تُطِيقَ تَبْدِيلَ مَا قَدْ خَطَّهُ الْقَلَمُ

٢٧٦

تَسَاقَطْنَا كَطَيْرٍ فِي شِبَاكٍ
تُعَانِي مِنْ أَذَى الدَّهْرِ اهْتِضَامَا
وَنَخْبِطُ فِي فَضَاءٍ لَيْسَ يَبْدُوْ
لَهُ حَدٌّ وَلَمْ نَبْلُغْ مَرَامَا

٢٧٧

أَنْتَ أَبْدَعْتَنِي مِنَ الْمَاءِ وَالطِّـ

ـيْنِ كَمَا قَدْ نَسَجْتَ أَلْيَافَ جِسْمِي

كُلُّ شَرٍّ مِنِّي يَلُوْحُ وَخَيْرٍ

أَنْتَ قَدَّرْتَهُ فَمَا هُوَ جُرْمِي

٢٧٨

ثُوْبُ قُدْسِي خَلَعْتُهُ فَوْقَ دِنٍّ

وَتَيَمَّمْتُ فِي ثَرَى الْحَانِ حَرْمَا

فَعَسَانِي أَلْقَى لَدَى الْحَانِ عُمْراً

ضاعَ مِنِّي بَيْنَ الْمَدَارِسِ قِدْمَا

٢٧٩

تُقَلِّلُ الرَّاحُ تَكَبُّرَ الْوَرَى

وَهِيَ تَحُلُّ مُشْكِلاَتِ الْعَالَمِ

لَوْ ذَاقَ إِبْلِيسُ الْمُدَامَ مَرَّةً

أَتَى بِأَلْفَيْ سَجْدَةٍ لآدَمِ

٢٨٠

تَارِكَ الرَّاحِ لاَ تَذُمَّ السُّكَارَى
إِنْ أُوَفَّقْ أَتُبْ وَيُمْحَى الأَثَامُ
بِاجْتِنَابِ الظِّلاَ افْتَخَرْتَ وَتَأْتِي
بِذُنُوبٍ لَهَا الْمُدَامُ غُلاَمُ

٢٨١

نُوْرُ الْبَصِيرَةِ نَحْنُ فِي عَيْنِ الْحِجَى
وَكَذَاكَ نَحْنُ الْقَصْدُ مِنْ ذَا الْعَالَمِ
هَذَا الْوُجُودُ قَدِ اسْتَدَارَ كَخَاتَمٍ
النَّقْشُ نَحْنُ بِفَصِّ ذَاكَ الْخَاتَمِ

٢٨٢

تَحُوكُ لِي يَا دَهْرُ جِلْبَابَ الأَسَى
كَمَا تَشُقُّ لِي رِدَا التَّنَعُّمِ
تُعِيدُ لِي رِيحَ الصَّبَا نَاراً كَمَا
تُصَيِّرُ الْمَاءَ تُرَاباً فِي فَمِي

٢٨٣

إِذَا لَمْ نَكُنْ فِي الدَّهْرِ نَبْقَى فَعَيْشُنَا
بِدُوْنِ الْحُمَيَّا وَالْحَبِيبِ ذَمِيمُ
إِلَى مَ اهْتِمَامِي فِي قَدِيمٍ وَحَادِثٍ
وَسِيَّانَ بَعْدِي حَادِثٌ وَقَدِيمُ

٢٨٤

دَعَا الْوَرْدُ إِنِّي يُوْسُفُ الرَّوْضِ فَأَنْظِرُوا
كَيَاقُوتَةٍ بِالتِّبْرِ مَمْلُوْءَةٍ فَمِي
فَقُلْتُ أَبِنْ لِي مِنْ عَلاَمَاتِ يُوْسُفٍ
فَقَالَ انْظُرَنْ ثَوْبِي الْمُخَضَّبَ بِالدَّمِ

٢٨٥

حَلَّ فِكْرِي فِي الْكَوْنِ كُلَّ مُعَمّىً
مِنْ حَضِيْض الثَّرَى لأَوْجِ النُّجُوْمِ
قَدْ تَبَيَّنْتُ كُلَّ مَكْرٍ وَمِرٍّ
فِيهِ إِلاَّ سِرَّ الرَّدَى الْمَحْتُومِ

٢٨٦

أَنَا لَسْتُ أَقْنَطُ مِنْ خَالِقٍ

رَحِيمٍ لِعِبْءِ ذُنُوبِي الْجِسَامْ

إِذَا الْيَومُ مُتُّ صَرِيعَ الطِّلاَ

سَيَعْفُوْ غَداً عَنْ رَمِيمِ الْعِظَامْ

٢٨٧

لِحُكْمِ الْقَضَا وَكِّلْ أُمُورَكَ مَا احْتَوَى

كِيَانُكَ أَعْصَاباً وَجِلْداً وأَعْظُمَا

دَعِ الْمَنَّ مِنْ خِلٍّ وإِنْ يَكُ حَاتِماً

وَلِلْخَصْمِ لاَ تَخْضَعْ وَإِنْ يَكُ رُسْتُمَا

٢٨٨

إِنَّ الأُولَى أَضْحَوا أَسَارَى عَقْولِهِمْ

ذَهَبُوا بِحَسْرَةِ فَاقِدٍ مُتَنَدِّمِ

إِشْرَبْ وَعُدْ كَالأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُمْ

صَارُوا زَبِيباً فِي أَوَانِ الْحِصْرِمِ

٢٨٩

رَبِّيَ افْتَحْ لِي بَابَ رِزْقٍ وَأَرْسِلْ
لِيَ قُوتِي مِنْ دُوْنِ مَنِّ الأَنَامِ
وَأَدِمْ نَشْوَةَ الطِّلاَ لِيَ حَتَّى
تُذْهِلَنِي مَا عِشْتُ عَنْ آلاَمِي

٢٩٠

إِنِّي وَإِنْ ذُقْتُ الْغَرَامَ وَقَلَّ لِي
مِنْ مُبْهَمِ الأَسْرَارِ مَا لَمْ يُفْهَمِ
فَالْيَومَ حِينَ فَتَحْتُ عَيْنَ بَصِيرَتِي
أَصْبَحْتُ أَعْلَمُ أَنَّنِي لِمْ أَعْلَمِ

٢٩١

بَادِرِ الْيَومَ إِذْ تُطِيقُ نَوَالاً
وَأَزِلْ عَنْ حَشَا الرِّفَاقِ الْهُمُومَا
إِنَّ مُلْكَ الْحَمَالِ لَيْسَ بِبَاقٍ
فَسَتَلْقَاهُ بَغْتَةً مَعْدُومَا

٢٩٢

إِنْ تَكُنْ يَا نَدِيمُ نَاراً بِصَخْرٍ
فَسَيَجْرِي إِلَيْكَ جَارِي الْحِمَامِ
غَنِّ فَالْكَونُ مِنْ ثَرَىً وَهَوَاءٌ
كُلُّ أَنْفَاسِنَا فَجِئْ بِالْمُدَامِ

٢٩٣

إِنَّ ظَبْياً بِهِ اسْتَهَامَ فُؤَادِي
عَادَ صَبَّاً بِشَادِنٍ مُسْتَهَامَا
كَيْفَ أَرْجُوْ مِنْ بَعْدُ بُرْءاً لِدَائِي
وَطَبِيبِي أَضْحَى يُعَانِي السَّقَامَا

٢٩٤

إِنْ رَآنِي السَّاقِي لِجَدْوَاهُ أَهْلاً
عَمَّنِي فِي فَوَاضِلِ الإِنْعَامِ
وَإِذَا لَمْ أَكُنْ بِأَهْلٍ سَقَانِي
فَوْقَ قَدْرِي بِعَادَةِ الإِكْرَامِ

٢٩٥

أَيَا فَلَكاً يُرَبِّي كُلَّ نَذْلٍ
وَلَيْسَ يَدُورُ حَسْبَ رِضَا الْكَرِيمِ
كَفَى بِكَ شَيْمَةً أَنْ رُحْتَ تَهْوِي
ذِي شَرَفٍ وَتَسْمُوْ بِالْلَّئِيمِ

٢٩٦

أَلأُفْقُ كَأْسٌ فَوْقَنَا مَقْلُوبَةٌ
كَمْ تَحْتَهَا خُدِعَ الْلَّبِيبُ الأَحْزَمُ
أُنْظُرْ وِدَادَ الْكَأْسِ مَعْ كُوْزِ الظِّلاَ
شَفَةٌ عَلَى شَفَةٍ وَبَيْنَهُمَا دَمُ

٢٩٧

سِرُّ الْحَيَاةِ لَوْ أَنَّهُ يَبْدُوْ لَنَا
لَبَدَا لَنَا سِرُّ الْمَمَاتِ الْمُبْهَمُ
لَمْ تَعْلَمَنَّ وَأَنْتَ حَيٌّ سِرَّهَا
فَغَداً إِذَا مُتَّ مَاذَا تَعْلَمُ؟

٢٩٨

حَلَّقْتُ بِالْفِكْرِ مِنْ فَوْقِ السَّمَا لأَرَى الْـ

ـجِنَانَ وَالنَّارَ وَالأَلْوَاحَ وَالْقَلَمَا

فَصَاحَ دَاعِي الْحِجَى فِيكَ الْجِنَانُ زَهَتْ

وَالنَّارُ شَبَّتْ وَفِيكَ اللَّوْحُ قَدْ رُقِمَا

٢٩٩

إِنَّ الَّذِيْنَ تَرَحَّلُوا مِنْ قَبْلِنَا

نَزَلُوا بِأَجْدَاثِ الْغُرُورِ وَنَامُوا

إِشْرَبْ وَخُذْ هَذِي الْحَقِيقَةَ مِنْ فَمِي

كُلُّ الَّذِي قَالُوا لَنَا أَوْهَامُ

٣٠٠

لَمْ تَقُلْ لِي مَا قُلْتَ إِلاَّ لِحِقْدٍ

زَاعِماً أَنَّنِي بِلاَ إِسْلاَمِ

أَنَا أَقْرَرْتُ بِالَّذِي قُلْتَ لَكِنْ

أَأَنْتَ أَهْلٌ لِمِثْلِ هَذَا الْكَلاَمِ؟

٣٠١

يَا مَنْ غَدَوْتَ لِجَوْكَانِ الْقَضَا كُرَةً
سِرْ كَيْفَ شَاءَ وَلاَ تَنْبِسْ بِبِنْتِ فَمِ
فَمَنْ رَمَى بِكَ فِي الْمَيْدَانِ مُضْطَرِباً
أَدْرَى وَأَعْلَمُ مَا يَجْرِي مِنَ الْقِدَمِ

٣٠٢

إِلَى مَ وَأَنْتَ لِلدُّنْيَا حَزِينٌ
وَطَرْفُكَ دَامِعٌ وَالْقَلْبُ دَامِي
فَعِشْ جَذْلاَنَ وَارْتَشِفِ الْحُمَيَّا
وَنَلْ أَقْصَى الْهَنَا قَبْلَ الْحِمَامِ

٣٠٣

إِنَّ الْقَضَاءَ لأَمْرٌ لاَ يُرَدُّ وَمَا
نَصِيبُ ذِي الْهَمِّ إِلاَّ السُّقْمُ وَالأَلَمُ
إِنْ تَقْضِ عُمْرَكَ مَهْمُومَ الْفُؤَادِ فَلَنْ
تَزِيدَ شَيْئاً عَلَى مَا خَطَّهُ الْقَلَمُ

٣٠٤

لِيَ نَقْداً سَاقٍ وَعُوْدٌ وَرَوْضٌ

وَلَكَ الْوَعْدُ فِي غَدٍ بِالنَّعِيمِ

دَعْ حَدِيثَ الْجِنَانِ وَالنَّارِ فمَنْ جَا...

...ءَ مِنَ الْخُلْدِ أَوْ مَضَى لِلْجَحِيمِ؟

حرف النّون

٣٠٥

فَلَكُ الشُّهُبِ قَالَ لِي أَفَتَعْزُوْ

لِيَ حُكْمَ الْقَضَاءِ فِي الأَكْوَانِ

لَوْ غَدَا لِي فِي السَّيْرِ أَدْنَى اخْتِيَارٍ

لَمْ تَجِدْنِي أَدُوْرُ كَالْحَيْرَانِ

٣٠٦

أَحْسَنُ مِنْ زُهْدِ الْفَتَى عَنْ رِياً

رَشْفُ الْحُمَيَّا وَاقْتِفَاءُ الْحِسَانْ

إِنْ كَانَ أَهْلُ الْحُبِّ وَالرَّاحِ فِي

لَظَىً فَلَنْ تَلْقَى امْرَأً فِي الْجِنَانِ

٣٠٧

إِذَا كُنْتَ تَعْلَمُ سِرَّ الدُّنَى

فَفِيمَ وَحَتَّامَ هَذَا الْعَنَا

إِذَا الدَّهْرُ لَمْ يَجْرِ حَسْبَ الْمَرَامْ

فَعِشْ مَا حَيِيْتَ حَلِيفَ الْهَنَا

٣٠٨

إِنْ لَمْ أُطِعْكَ إِلَهِي فِي الْحَيَاةِ وَلَمْ

أُطَهِّرِ النَّفْسَ مِنْ أَدْرَانِ عِصْيَانِ

فَلَيْسَتِ النَّفْسُ مِنْ جَدْوَاكَ قَانِطَةً

إِذْ لَمْ أَقُلْ قَطُّ إِنَّ الْوَاحِدَ اثْنَانِ

٣٠٩

كَمْ فِي الْمَدَارِسِ وَالصَّوَامِعِ أَنْفُسٌ

تَرْجُوْ الْجِنَانَ وَتَخْتَشِي النِّيْرَانَا

لَكِنَّ مَنْ عَرَفَ الإِلَهَ وَسِرَّهُ

لَمْ يُشْغِلَنَّ بِذِي الأُمُورِ جَنَانَا

٣١٠

أَرَى أَجْدَاثَنَا تُبْنَى بِلِبْنٍ
غَداً يَا صَاحِ إِنْ نَرِدِ الْمَنُونَا
وَيُصْنَعُ مِنْ ثَرَانَا بَعْدُ لِبْنٌ
بِهِ تُبْنَى قُبُورُ الآخَرِينَا

٣١١

صَيَّادُ ذَا الدَّهْرِ أَلْقَى الْحَبَّ فِي شَرَكٍ
فَصَادَ صَيْداً وَقَدْ سَمَّاهُ إِنْسَانَا
فَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ مِنْهُ قَدْ نَشَئَا
وَرَاحَ يَعْزُوْ لِهَذَا الْخَلْقِ عِصْيَانَا

٣١٢

لاَ تُؤَمِّلْ مَا فَوْقَ سِتِينَ حَوْلاً
لَكَ عُمْراً وَلاَزِمِ السُّكْرَ وَاهْنَا
وَالْزَمِ الدِّنَّ وَالْكُؤُوْسَ مُدَاماً
قَبْلَ أَنْ يَصْنَعُوا رُفَاتَكَ دِنَّا

٣١٣

زَمَنُ الْوَرْدِ ذَا وَضِفَّةُ نَهْرٍ

وَرِيَاضٌ وَبِضْعُ حُوْرٍ حِسَانِ

عَاطِنِي الْكَأْسَ فَالنَّشَاوَى صَبَاحاً

حُرِّرُوا مِنْ مَسَاجِدٍ وَجِنَانِ

٣١٤

عَقِيقُكَ الرَّاحُ وَالْكَاسَاتُ مَعْدَنُهُ

وَالرَّاحُ رُوْحٌ مِنَ الْجَامِ اصْطَفَتْ بَدَنَا

وَإِنَّ كَأْسَ زُجَاجٍ بِالطِّلاَ ضَحِكَتْ

دَمْعٌ دَمُ الْقَلْبِ فِي أَثْنَائِهِ كَمَنَا

٣١٥

قَدْ كَانَ يَدْرِي اللّٰهُ كُلَّ فِعَالَنَا

مِنْ يَوْمِ صَوَّرَ طِينَنَا وَبَرَانَا

لَمْ نَرْتَكِبْ ذَنْباً بِدُوْنِ قَضَائِهِ

فَإِذَنْ لِمَاذَا نَدْخُلُ النِّيْرَانَا؟

٣١٦

إِنْ تَرُمْ أَنْ تَنَالَ عُمْراً صَحِيحاً
وَفُؤَاداً لاَ يَحْمِلُ الأَحْزَانَا
فَلْرْتَشِفْ صَافِيَ الطِّلاَ كُلَّ آنٍ
لِتَنَالَ السُّرُورَ آناً فَآنَا

٣١٧

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِلْمُ الْيَقِينِ بِمُمْكِنٍ
لَنَا وَانْقِضَاءُ الْعُمْرِ بِالشَّكِّ خُسْرَانُ
فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ نَتْرُكَ الرَّاحَ لَحْظَةً
وَسِيَّانِ حِينَ الْجَهْلُ صَاحٍ وَنَشْوَانُ

٣١٨

غَسِّلُوْنِي بِالرَّاحِ بَعْدَ الْمَنُوْنِ
وَاذْكُرُوْهَا وَالْكَأْسُ فِي تَلْقِينِي
وَلَدَى الْحَشْرِ إِنْ أَرَدْتُمْ لِقَائِي
مِنْ ثَرَى بَابِ حَانَةٍ فَاطْلُبُوْنِي

٣١٩

نَفَسٌ بَيْنَ كُفْرِنَا وَالدِّيْنِ

نَفَسٌ بَيْنَ شَكِّنَا وَالْيَقِينِ

مَا أَرَى حَاصِلَ الْحَيَاةِ سِوَاهُ

فَاقْضِهِ بِالسُّرُوْرِ قَبْلَ الْمَنُوْنِ

٣٢٠

الْبُلْبُلُ قَدْ شَدَا عَلَى الأَغْصَانِ

فَاشْرَبْ صَهْبَاءهَا مَعَ النُّدْمَانِ

وَالْوَرْدُ زَهَا فَقُمْ وَبَادِرْ عَجِلاً

يَوْمَيْنِ مِنَ الْهَنَاءِ فِي الْبُسْتَانِ

٣٢١

إِذَا كَانَ عَدْلاً قِسْمَةُ الرِّزْقِ فِي الْوَرَى

فَلَنْ يَجْدُوا فِيهِ مَزِيداً وَنُقْصَانَا

فَلاَ تَكُ فِي فِكْرٍ لِمَا لَمْ يَكُنْ وَعِشْ

لَعَمْرُكَ حُرَّ النَّفْسِ مِنْ كُلِّ مَا كَانَا

٣٢٢

كَسَرْتَ يَا رَبِّ إِبْرِيقَ الْمُدَامِ كَمَا
سَدَدْتَ لِي بَابَ عَيْشِي حَيْثُمَا كَنَا
أَنَا شَرِبْتُ وَتُبْدِي أَنْتَ عَرْبَدَةً
لَيْتَ الثَّرَى بفَمِي، هَلْ كُنْتَ نَشْوَانَا؟

٣٢٣

لَوْ كُنْتُ رَبَّ اخْتِيَارٍ مَا أَتَيْتُ إِلَى الْـ
ـدُّنْيَا وَلَمْ أَرْتَحِلْ عَنْهَا وَلَمْ أَبِنِ
مَا كَانَ أَسْعَدَنِي لَوْ لَمْ أَجِيءْ أَبَداً
لِلدَّهْرِ يَوْماً وَلَمْ أَرْحَلْ وَلَمْ أَكُنِ

٣٢٤

أَلدَّهْرُ يَا خَيَّامُ يَبْرَأُ مِنْ فَتىً
يُمْسِي مِنَ الأَيَّامِ فِي أَشْجَانِ
إِشْرَبْ عَلَى نَغَمٍ زُجَاجَةَ قَرْقَفٍ
قَبْلَ انْكِسَارِ زُجَاجَةِ الأَبْدَانِ

٣٢٥

حَتَّى مَ فِي هَمٍّ لِمَا يَأْتِي وَهَلْ
يَجْنِي جَمِيعُ الْحَازِمِينَ سِوَى الْعَنَا
الْهَمُّ لَيْسَ بِزَائِدٍ أَوْ مُنْقِصٍ
فِي الرِّزْقِ فَالْتَزِمِ الْمَسَرَّةَ وَالْهَنَا

٣٢٦

عِشْ هَنِيْئاً فَالدَّهْرُ لَيْسَ بِفَانٍ
وَسَتَبْقَى النُّجُوْمُ ذَاتَ اقْتِرَانِ
وَسَيَغْدُوْ ثَرَاكَ لِبْناً فَيُبْنِي
فِي قُصُوْرٍ لِلنَّاسِ أَوْ إِيْوَانِ

٣٢٧

لَسْتُ أَدْرِي هَلِ الإِلَهُ بَرَانِي
لِجِنَانِ الأُخْرَى أَوِ النِّيْرَانِ
لِيَ نَقْداً سَاقٍ وَرَوْضٌ وَرَاحٌ
وَلَكَ الْوَعْدُ فِي غَدٍ بِالْجِنَانِ

٣٢٨

هَدَّ رُكْنَ الإِيْمَانِ ذَنْبِي وَأَنْسَى
ذَنْبَ مَنْ رَاحَ يَعْبُدُ الأَوْثَانَا
أَنَا أَخْشَى ذَنْبِي مَتَى وَزَنُوْهُ
يَوْمَ حَشْرٍ أَنْ يَكْسِرَ الْمِيزَانَا

٣٢٩

إِذَا مَا جَاءَنَا رَمَضَانُ يُلْقَى
بِهِ الْقَيْدُ الثَّقِيلُ عَلَى حِجَانَا
فَأَغْفِلْ يَا إِلَهِي النَّاسَ حَتَّى
يَخَالُوا أَنَّ شَوَّالاً أَتَانَا

٣٣٠

حَلَّ السَّمَا ثَوْرٌ وَثَوْرٌ غَدَا
يَحْتَمِلُ الأَرْضَ بِقَرْنَيْنِ
أُنْظُرْ بِعَيْنِ الْعَقْلِ كَيْمَا تَرَى
قَطِيعَ حَمِيرٍ بَيْنَ ثَوْرَيْنِ

٣٣١

سَأَطْوِيَنْ صَاحِ أَعْلاَمَ النِّفَاقِ غَداً
وَأَقْصُدَنَّ بِشَيْبِي الرَّاحَ وَالْحَانَا
بَلَغْتُ سَبْعِينَ حَوْلاً كَامِلاً فَمَتَى
أَلْقَى الْهَنَاءَ إِذَا لَمْ أَلْقَهُ الآنَا؟

٣٣٢

ضَمَّ جِسْمُ الزُّجَاجِ رُوْحاً فَحَاكَى
يَاسَمِيناً يُحِيطُ فِي أَرْجُوَانِ
لاَ لَعَمْرِي فَالْجَامُ جَامِدُ مَاءٍ
ضَمَّ فِي الْقَلْبِ سَائِلَ النِّيْرَانِ

٣٣٣

قَدْ أَصْبَحَ الْحَانُ بِنَا عَامِراً
وَكَمْ نَقَضْنَا مِنْ مَتَابٍ لَنَا
مَا يُصْنَعُ الْعَفْوُ بِلاَ مَأْثَمٍ
أَلْعَفْوُ يَزْدَانُ بِآثَامِنَا

٣٣٤

إِنَّ مَنْ أَدْرَكُوا الْمَنَاصِبَ ذَاقُوا
جُرَعَ الْهَمِّ وَالأَسَى أَلْوَانَا
وَعَجِيبٌ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ يَهْوَى
رْصَهُمْ لاَ يَرَوْنَهُ إِنْسَانَا

٣٣٥

حَتَّى مَ صَوْمُكَ وَالصَّلاَةُ تَنَسُّكاً
فَدَعِ الْمَسَاجِدَ وَاقْصُدَنَّ الْحَانَا
وَاشْرَبْ فَسَوْفَ تَرَى رُفَاتَكَ تَارَةً
كُوْزاً وَأُخْرَى أَكْؤُساً وَدِنَانَا

٣٣٦

أَتَمَنَّى دِيوَانَ شِعْرٍ وَنِصْفاً
مِنْ رَغِيفٍ وَكُوْزَ صَهْبَاءِ حَانِ
وَجُلُوساً مَعَ الْحَبِيبِ بِقَفْرٍ
ذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُلْكِ ذِي سُلْطَانِ

٣٣٧

حِينَ جُوْدُ الإِلَهِ فَاضَ بَرَانِي
وَبِدَرْسِ الْغَرَامِ قِدْماً حَبَانِي
وَلَقَدْ صَاغَ مِنْ قُرَاضَةِ قَلْبِي
بَعْدَ هَذَا مِفْتَاحَ كَنْزِ الْمَعَانِي

٣٣٨

حَتَّى مَ أَبْنِي عَلَى سَطْحِ الْمِيَاهِ لَقَدْ
سَئِمْتُ دَيْراً وَعُبَّاداً لأَوْثَانِ
مَنْ قَالَ إِنِّي مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ وَمَنْ
أَتَى مِنَ الْخُلْدِ أَوْ وَلَّى لِنِيرَانِ؟

٣٣٩

حَتَّى مَ تُصْبِحُ لِلأَطْمَاعِ حِلْفَ عَنَا
حَيْرَانَ تَعْدُوْ بِهَذَا الْكَوْنِ مُفْتَتِنَا
مَضَوا وَنَمْضِي وَكَمْ يَأْتُوْنَ بَعْدُ وَكَمْ
يَمْضُوْنَ مِنْ دُوْنِ أَنْ يَحْظَى امْرُؤٌ بِمُنَى

٣٤٠

كُنْ حِمَاراً فِي مَعْشَرٍ جُهَلاَءٍ
أَيْقَنُوا أَنَّهُمْ أُوْلُوْ الْعِرْفَانِ
فَهُمُ يَحْسَبُوْنَ لِلْجَهْلِ مَنْ لَيْـ
ـسَ حِمَاراً خِلْواً مِنَ الإِيْمَانِ

٣٤١

مَنْ بَرَى أَكْؤُسَ الرُّؤُوْسِ وَأَبْدَى
عِنْدَ تَكْوِينِهَا أَدَقَّ الْفَنُوْنِ
كَبَّ كَأْساً مِنْ فَوْقِ مَائِدَةِ الْكَوْ..
..نِ دِهَاقاً قَدْ أُتْرِعَتْ بِالْجُنُوْنِ

٣٤٢

أَسَفاً لِقَلْبٍ لَيْسَ يُذْكِيهِ الْهَوَى
شَغَفاً وَلَيْسَ يَهِيمُ قَطُّ بِشَادِنٍ
لاَ يَوْمَ أَضْيَعُ قَطُّ مِنْ يَوْمِ امْرِئٍ
يَقْضِيهِ دُوْنَ غَرَامِ ظَبْيٍ فَاتِنِ

٣٤٣

لَوْ ارْتَكَبْتُ خَطَايَا النَّاسِ كُلِّهِمُ
لَكُنْتُ أَرْجُوْ لِذَنْبِي مِنْكَ غُفْرَانَا
قَدْ قَلْتَ إِنَّكَ يَوْمَ الْعَجْزِ تَنْصُرُنِي
لاَ عَجْزَ أَعْظَمُ لِي مِنْ عَجْزِيَ الآنَا

حرف الهاء

٣٤٤

إِلَى مَ أَسَاكَ عَلَى الْفَانِيَهْ
أَنَالَ امْرُؤٌ عِيشَةً بَاقِيَهْ!
هِيَ النَّفْسُ عَارِيَةٌ تُسْتَرَدْ
فَعِشْ مَعْهَا عِيشَةَ الْعَارِيَهْ

٣٤٥

إِنْ كَانَتِ الأَفْلاَكُ ضِدَّ ذَوِي الْبَصَائِرِ جَارِيَهْ
إِنْ شِئْتَ قُلْ هِيَ سَبْعَةٌ أَوْ شِئْتَ عُدَّ ثَمَانِيَهْ
وَإِذَا رَحَلْتَ غَداً وَخَلَّفْتَ الأَمَانِي بَاقِيَهْ
فَلْيَأْكُلَنَّكَ نَمْلُ قَبْرِكَ أَوْ ذِئَابُ الْبَادِيَهْ

٣٤٦

إِذَا مَا صَحَوْتُ عَدِمْتُ الْهَنَا

وَمَهْمَا سَكِرْتُ فَقِدْتُ النُّهَى

وَلَكِنَّ بَيْنَهُمَا حَالَةً

هِيَ الْعَيْشُ وَالْقَلْبُ رِقٌّ لَهَا

حرف الياء والألف المقصورة

٣٤٥

مُنْذُ مَيَّزْتُ بَيْنَ كَفِّيْ وَرِجْلِي

غَلَّ هَذَا الدَّهْرُ الدَّنِيُّ يَدَيَّا

أَسَفاً يَحْسِبُوْنَ فِي الْحَشْرِ عُمْراً

مَرَّ بِي دُونَ شَادِنٍ وَحُمَيَّا

٣٤٦

أَيُّهَا النَّفْسُ لَوْ نَفَضْتِ غُبَارَ الـ

ـجِسْمِ أَضْحَى فَوْقَ السَّمَا لَكِ مَأْوَى

لَكِ عَرْشٌ فَوْقَ السَّمَاءِ فَعَيْبٌ

أَنْ تَجِيئِي وَتَرْتَضِي الأَرْضَ مَثْوَى

٣٤٩

مِنَ الْعَارِ أَنْ تَسْعَى لِتَحْصِيلِ شُهْرَةٍ
وَأَنْ تَشْتَكِي مِنْ جُوْرِ ذَا الْفَلَكِ الْبَلْوَى
لَئِنْ تَغْدُ مِنْ عِطْرِ الْحُمَيَّا بِنَشْوَةٍ
يَكُنْ لَكَ خَيْراً مِنْ غُرُورِكَ بِالتَّقْوَى

٣٥٠

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ لِذَنْبِي فِي شَقَا
فَلَسْتُ يَائِساً كَكُفّارِ أَلْوَرى
أَرْجُوْ وَإِنْ مُتُّ بِسُكْرِي سَحَرَا
رَاحاً وَظَبْياً فِي جِنَانٍ أَوْ لَظىً

٣٥١

دَعْ عَنْكَ دَرْسَ الْعُلُوْمِ أَجْمَعِهَا
وَأشْفِ بِأَصْدَاغِ شَادِنٍ سَقَمَكْ
وَاهْرِقْ بِكَاسٍ دَمَ الزُّجَاجِ وَطِبْ
مِن قَبْلِ أَنْ يَهْرِق أَلزَّمَانُ دَمَكْ

تَمَّ